تدبر القرآن الكريم

(مفهومه ، وأهميته ، ووسائله ، وثماره)

د. عبد الواسع محمد غالب الغشمي
أستاذ الحديث وعلومه المشارك – اليمن – جامعة الحديدة

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ،وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فإن حاجة الأمة إلى فهم كتاب الله –تعالى- وتدبرِه ماسة، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾{ص:٢٩}،إذ أن القرآن الكريم هداية للخلق، وبشرى للمؤمنين، قال تعالى :﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴾{الإسراء:٩}، ولنا في الصحابة – رضوان الله عليهم – قدوة حسنة في قراءتهم للقرآن بقلوب واعية، وبصائر متفتّحة، ومن ثَمّ فهموا معانيه، وتدبَّروه حق تدبُّره، وعملوا به، واستنبطوا أحكامه، واتعظوا بمواعظه، فأثمرت تلك القراءة المتدبرة في حياتهم سلوكاً وواقعاً، حتى تَرَاجع هذا المسلك الإيجابي في تلقي القرآن الكريم، وتضافرت عوامل عديدة في ذلك إلى أن وصلت الأمة إلى حالة من الأمية العقلية قلَّ نظيرها، على الرغم من توفر الكثير من الوسائل التي أسهمت في تسهيل حفظ القرآن الكبير قراءةً وسماعاً وكتابةً.

وإن ما تعيشه أمة الإسلام اليوم من تخلُّف حضاري، وهزائم متكررة، وفرقة وشتات، وعجْزٍ في تعاملها مع الأحداث، واكتشافها للسنن والقوانين الكونية، ليدل دلالةً واضحةً على أن القرآن لم يعد مسيراً لأمور حياتها، ولا ضابطاً لسلوكيات أفرادها ومجتمعاتها، فضلاً من أن يكون محل تدبر القلوب، واستلهام النفوس له، وهو المقصود من نزوله، ومن ثم كان إجراء هذا البحث، الذي سيناقش : مفهوم التدبر، وأهميته، والوسائل المعينة له، والثمار الناتجة عنه، ثم يخلص إلى بيان واقعنا المعاصر، وموقفه من تدبر القرآن الكريم، واستلهام معانيه في حياته.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان الآتي:

-إظهار مفهوم التدبر وأهميته وحاجة الأمة إليه.
- بيان الآليات والوسائل المعينة للتدبر.
- بيان الثمرات الناتجة عنه.
- بيان حال واقعنا المعاصر وتدبر القرآن

محتويات البحث:

يتكون البحث من ستة مباحث رئيسة، مبتدئاً موضوعاته بمقدمة، ثم بخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات:

المبحث الأول : مفهوم التدبر.

المبحث الثاني : مقاصد التدبر وأهميته.

المبحث الثالث : الوسائل المعينة على التدبر.

المبحث الخامس : ثمار التدبر.

المبحث السادس : واقعنا المعاصر وتدبر القرآن الكريم.

منهجية البحث: اتبع البحث منهج الاستقراء للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ثم التحليل لمعطياتهما، ثم التتبع الواقعي لمآلات المسلمين الواقعية وأحوالهم.

المبحث الأول :مفهوم التدبر:

١- التدبُّر في اللغة: مأخوذ من مادة (دَبَرَ)، قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ) :" وهو آخِرُ الشَّيء، وخلفُه خلافُ قُبله... ودبَّرْتُ الحديثَ عن فُلانٍ، إذا حدَّثتَ به عنه، وهو من الباب ؛ لأنَّ الآخِر المحدِّثَ يَدْبُر الأوّلَ يجيءُ خَلْفَه...وفي الحديث: "ولا تَدابَرُوا"(١)،وهو من الباب، وذلك أنْ يترُكَ كلُّ واحدٍ منهما الإقبالَ على صاحبه بوجْهه..."(٢).

وقال أَبو عُبَيْد (ت٢٢٤هـ):" التَّدَابُر: المصَارَمَة والهِجْرَانُ، مأْخُوذٌ من أَن يُوَلِّيَ الرجلُ صاحبَه دُبُرَه وقَفَاه، ويُعرِضَ عنه بوَجْهه" (٣).

وقال ابن منظور (ت٧١١هـ):" دَبَّرَ الأَمْرَ وتَدَبَّره أي: نظر في عاقبته، و اسْتَدْبَرَه : رأَى في عاقبته ما لم ير في صدره، وعَرَفَ الأَمْرَ تَدَبُّراً أَي بأَخَرَةٍ، قال جرير :

ولا تَتَّقُونَ الشَّرَّ حتى يُصِيبَكُمْ ولا تَعْرِفُونَ الأَمرَ إلا تَدَبُّرَا(٤).

والتدبير في الأمر: أَن تنظر إِلى ما تَؤُول إِليه عاقبته، والتَّدَبُّر التفكر فيه، وفلان ما يَدْرِي قِبَالَ الأَمْرِ من دِباره، أَي: أَوَّله من آخره، ويقال: فلاناً لو استقبل من أَمره ما استدبره لَهُدِيَ لِوِجْهَةِ أَمْرِه، أَي لو علم في بَدْءِ أَمره ما علمه في آخره لاسْتَرْشَدَ لأَمره(٥).

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ :(لو استقبلت من أمري ما استدبرت)(٦)،فأضاف التدبر إلى شأنه وأمره ﷺ.

وقال ابن القيم (ت٧٥٢هـ):" وتدبر الكلام : أن ينظر في أوله وآخره، ثم يعيد نظره مره بعد مرة ؛ ولهذا جاء على بناء التفّعل كالتجرع والتفهم والتبين"(٧).

وقال الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) :" التَّدَبُّر: التَّفكُّر أَي تَحْصِيل المعْرِفَتَيْنِ لتَحْصِيل مَعْرِفةٍ ثالثة، ويقال عَرَف

---

(١) صحيح مسلم ١٩٨٦/٤ح(٢٥٦٤) أخرجه من حديث أبي هريرة.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٣٢٤/٣.

(٣) غريب الحديث ١٠/٢.

(٤) الأغاني ٣٠/٨.

(٥) لسان العرب ٢٦٨/٤.

(٦) صحيح البخاري ٢٦٤٢/٦ح(٦٨٠٢).

(٧) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ١٨٣/١.

الأَمرَ تَدَبُّراً، أَي بأَخَرَةٍ"(١).

٢– التدبر عند المفسرين:

يتعدد فهْم المفسرين" للتدبر"، ولكن مع تعدّده يقترب بعضه من ببعض ؛ إذ تؤكد تعاريفهم كلها على تأمل المعاني وتبصّر الآيات والأحكام ، فهو عند الزمخشري (ت٥٣٨هـ):"تأمل معانيه، وتبصر ما فيه"(٢)،

وعند القرطبي (ت٦٧١هـ):" التفكر فيه وفي معانيه"(٣)، وعند الخازن (ت٧٤١هـ):" تأمل معانيه، وتفكر في حكمه، وتبصر ما فيه من الآيات"(٤)، وعند أبي حيان (ت٧٤٥هـ) :" التفكر في الآيات، والتأمل الذي يفضي بصاحبه إلى النظر في عواقب الأشياء"(٥)، وعند ابن القيم (٧٥١هـ): " تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمْع الفكر على تدبره وتعقله"(٦).

وقال السيوطي (ت٩١١هـ):" وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكير في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مرَّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوذ، أو تنزيه نزه وعظم، أو دعاء تضرع وطلب"(٧).

وقال الألوسي (ت١٢٧٠هـ):" وأصل التدبر: التأمل في أدبار الأمور وعواقبها ثم استعمل في كل تأمل سواء كان نظراً في حقيقة الشيء وأجزائه أو سوابقه وأسبابه أو لواحقه و أعقابه"(٨)، فالتدبر عنده لم يقتصر على عواقب الأمور فحسب، بل امتد ليشمل حقائقها، وأسبابها، ولواحقها، وغير ذلك على وجه الإطلاق، وعلى هذا التعريف الواسع يكون مصطلح "التدبر" قد استُعمل في حقيقته اللغوية، أما حقيقته الشرعية فيكون معناه: النظر والتوصل إلى مغزى الآيات القرآنية ومقاصدها وأهدافها وما ترمي إليه، عن طريق إعمال الفكر والتأمل وبذل الجهد الذهني في فهم الآيات.

وقال الشيخ السعدي (ت١٣٧٦هـ) :" التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه"(٩).

وقال ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ) :" والتدبر: إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نصبت له،

---

(١) تاج العروس ٢٦٥/١١.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٥٧١/١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٠/٥.

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل ٥٦٣/١.

(٥) البحر المحيط ٣٧٩/٧.

(٦) مدارج السالكين ٣٦٣/١.

(٧) الإتقان في علوم القرآن ٣٠٠/١.

(٨) روح المعاني ٩٢/٥.

(٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص(١٨٩).

وأصله أنه من النظر في دُبُر الأمر، أي فيما لا يظهر منه للمتأمل بادئ ذي بدء"(١)، وقال أيضا: "والتدبر: التفكر والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلام قليل اللفظ كثير المعاني التي أُودعت فيه بحيث كلما ازداد المتدبر تدبراً انكشفت له معانٍ لم تكن بادية له بادئ النظر"(٢).

وقال سلمان السنيدي:" هو تفهم معاني ألفاظه، والتفكر فيما تدل عليه آياته مطابقة ، ودخل في ضمنها، وما لا يتم تلك المعاني إلا به، مما لم يعرج اللفظ على ذكره من الإشارات والتنبيهات، وانتفاع القلب بذلك، بخشوعه عند مواعظه ، وخضوعه لأوامره ، وأخذ العبرة منه"(٣).

ومن النصوص والمصادر اللغوية والقرآنية السابقة نخلص إلى تحديد أمرين، الأول: إن مفهوم "التدبر" في مصادر اللغة له معنيان، حقيقي وهو الأصل، ومفاده آخر الشيء وخلفه، ومجازي، ومختصره النظر في عاقبة الأمر ونهايته، وما يؤول إليه، والنظر- أيضاً – في أول الكلام وآخره، ثم إعادة النظر فيه مرة بعد مرة، وهو نشاط وجهد ذهني يقوم به العقل بغية التوصل إلى عواقب الأمور ونتائجها، وبهذا يتم بتحصيل المعرفتين تحصيل معرفة ثالثة.

وهذا المعنى اللغوي حاصل في كتب التفسير، لكنه مخصص فيها بنصوص القرآن الكريم، ومن ثم فإن "التدبر" فيها لا يخرج عن المعاني الآتية:

١- التأمل الذهني في معاني القرآن الكريم، وآياته، وأوامره، ونواهيه، ومبادئه، وعواقبه.

٢- نظر القلب وجمع الفكر أيضاً فيه.

٣- إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نُصبت له، ومن ثَمّ فإن هذه الخصوصية في معنى "التدبر" عند المفسرين تكاد لا تبتعد عن معنى النظر أو التأمل القلبي أو العقلي، وجمع الفكر بهما، إذا خصّصنا هنا النظر العقلي بالجانب الذهني المحض ، والنظر القلبي بالجانب الذهني والروحي معاً.

الثاني: أن هذا المختصر في فهم "التدبر" هو مراد البحث ، والفهم الذي أصطلحه لبحثي ، وأُقيِّم به موضوعاته وأناقشها، مؤكداً على تأكيد الجرجاني (ت٨١٦هـ) في التفريق الدقيق بين "التفكر"، و"التدبر"، إذ يقول: " والتدبر: هو النظر في عواقب الأمور ، وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل ، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب " (٤).

ومن ثَمّ يكون للتدبر معانٍ فكرية وروحية، تتصل بمقامات التعبد، والتقرب إلى الله، واتصال أشواق الروح به سبحانه بخلاف "التفكر" الذي يقترب في مهامه من مقاصد المعرفة واستكشاف الدلائل والأحكام، كما يمكننا أن نضيف هنا جانبين لمفهوم التدبر، الجانب المباشر: وهو التحديد الذي بينته في الفقرة السابقة، فحينما يذكر

---

(١) التحرير والتنوير ٨٧/١٨.

(٢) المصدر السابق ٢٥٢/٢٣.

(٣) تدبر القرآن ص(١١).

(٤) التعريفات ص (٧٦).

"التدبر" في آية، أو مقام شرح، أو توضيح له في القرآن، فإنه لا يبتعد كثيراً عن السابق، والجانب غير مباشر: وهو عبارة عن ممارسات عملية تشمل أي مسلك تعبدي روحي، كالصلاة، أو الصوم، أو الزكاة ... وتشمل أيضاً القربات الأخرى التي يتقرب بها العبد إلى ربه، بتنفيذ الأوامر واجتناب النواهي، ومن ثم الأخذ بكل ما هو نافع ومفيد، كثمرة للتدبر، واستجابة من استجاباته.

٣- المَعْنِيُّ في الآيات بالتدبر:

إن التدبر المأمور به في القرآن عام: يشمل المنافقين، والكفار، والمؤمنين .**أما المنافقون** :فقد وردت آيتان تأمرهم بالتدبر، وهما قوله تعالى :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾{النساء:٨٢}،وقوله تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾{محمد :٢٤}، وفي سياق هاتين الآيتين يقول الطبري (ت٣١٠هـ) :"أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه –عليه الصلاة والسلام– ، ويتفكرون في حُججه التي بيّنها لهم في تنزيله، فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون، أم على قلوب أقفالها، يقول: أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبر ... إذ والله يجدون في القرآن زاجراً عن معصية الله، لو تدبره القوم فعقلوه، ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا عند ذلك"(١).

وقال أبو حيان (ت٧٤٥هـ):" وهذا استفهام معناه الإنكار أي: أفلا يتأملون ما نزل عليك من الوحي ولا يعرضون عنه، فإنه في تدبره يظهر برهانه وسطع نوره، ولا يظهر ذلك لمن أعرض عنه ولم يتأمله"(٢). ومن يتأمل في دلالة هذا الاستفهام الإنكاري يجد أنه جاء بتوبيخهم على عدم التدبر، والتعجب من حالهم في استمرارهم على نفاقهم مع توفر أسباب الهداية وهو القرآن الذي يردّده الرسول ﷺ على مسامعهم وبين ظهرانيهم ليل نهار، وهذا ما ذكره ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ) فقال:" والاستفهام إنكاري للتوبيخ، والتعجيب منهم في استمرار جهلهم مع توفّر أسباب التدبر لديهم"(٣).

وقال السعدي(ت١٣٧٦هـ) :" أي فهلّا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق التأمل، فإنهم لو تدبروه لدلّهم على كل خير، ولحذّرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفئدتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية، ولبيّن لهم الطريق الموصلة إلى الله، وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة إلى العذاب، وبأي شيء تحذر، ولعرّفهم بربهم، وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوقهم إلى الثواب الجزيل، ورهبهم من العقاب الوبيل"(٤).

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧٩/٢٢.

(٢) البحر المحيط ٣١٧/٣.

(٣) التحرير والتنوير ١٣٧/٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص(٧٨٨).

ونخلص من ذلك: أن الله –تعالى– أنكر عليهم عزوفهم عن القرآن وعن قراءته بتدبر وأناة، وأنهم (أي المنافقون) لو أعملوا أذهانهم وأمعنوا النظر في القرآن وتدبروه بحق لوصلوا إلى نتيجة ؛ إذ أن القرآن كلام الله ليس فيه اختلاف البتة ؛ لأنه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، ولكن بسبب شكِّهم واضطرابهم وقلوبهم المغلَّفة القاسية التي كأنها مُكبَّلة بالأغلال لا ينفذ إليها نور القرآن لم يتمكّنوا من تدبره، فمن أراد منهم أن يقف على تلك الحقيقة فعليه أن يقرأ القرآن كله بتدبر وتأمل، أما القراءة السريعة التي لا تأمل فيها لم توصل إلى تلك النتيجة.

وأما الكفار :فكذلك وردت فيهم آيتان، تأمرهم بالتدبر، وهما قوله تعالى:﴿ **أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ** ﴾{المؤمنون:٦٨}، وقوله تعالى: ﴿ **كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ** ﴾{ص:٢٩}، قال الطبري (ت٣١٠هـ) :" أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه، فيعلموا ما فيه من العبر، ويعرفوا حجج الله التي احتج بها عليه فيه؟﴿ **أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ** ﴾؟، أم جاءهم أمر ما لم يأت من قبلهم من أسلافهم، فاستكبروا ذلك وأعرضوا، فقد جاءت الرسل من قبلهم، وأُنزلت معهم الكتب "⁽¹⁾.

وقال الألوسي (ت١٢٧٠هـ):"﴿ **أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ** ﴾ لإنكار الواقع واستقباحه... أي فعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر، فلم يتدبروا القرآن ليعلموا بما فيه من وجوه الإعجاز أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به، وأم في قوله تعالى:﴿ **أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ** ﴾منقطعة وما فيها من معنى للإضراب، والانتقال من التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بآخر، والهمزة لإنكار الوقوع لا لإنكار الواقع، أي بل أجاءهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الأولين حتى استبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال "⁽²⁾.

وقال الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) :" بيّن سبحانه أن سبب إقدامهم على الكفر هو أحد هذه الأمور الأربعة : الأوّل : عدم التدبر في القرآن، فإنهم لو تدّبروا معانيه لظهر لهم صدقه وآمنوا به وبما فيه"⁽³⁾.

وقال السعدي (ت١٣٧٦هـ): " أي أفلا يتفكرن في القرآن ويتأملونه ويتدبرونه، فإنهم لو تدبروه لأوجب لهم الإيمان ولمنعهم من الكفر، ولكن المصيبة التي أصابتهم بسبب إعراضهم عنه"⁽⁴⁾.

ونخلص في هذا: إن كفار مكة لم يكونوا من المتدبرين للقرآن، ولم يعطوا لأنفسهم فرصة النظر فيه ليتبين لهم

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥٦/١٩.

(٢) روح المعاني ٥٠/١٨.

(٣) فتح القدير٤٩٢/٣.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص(٥٥٤).

حقيقته، بل كَانَوا ينهون النَّاس عن الاستماع للقرآن الكريم ويقولون: هذا أساطير الأولين، وإفك قديم من كلام الكهان، وإن هو إلا قول البشر، وإنْ هذا إلا سحر يؤثر، واستمروا في تكذيبهم به، ولو أنهم تدبروه لصَّدقُوا بما فيه، وعلموا أنه كلام رب العالمين.

وأما عموم المؤمنين: فتدبر القرآن في حقهم واجب، وهم مأمورون به ؛ لأنهم أهل الانتفاع، وكل واحد بحسب قدراته وطاقاته الإدراكية القابلة للاكتساب والزيادة، فلا يُعذر أحد بعدم التدبر، وقد دل على ذلك سياق الآية الكريمة ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾{ص:٢٩}، التي فيها قراءتان :**القراءة الأولى**: وهي قراءة الجمهور بإدغام التاء في الدال(١)، وفيه بيان علة إنزال هذا الكتاب، وأن الهدف من إنزاله هو تلاوته وتدبره(٢)، وتوجيه الأمر إلى عموم الناس لا يفيد بأن الأمر منصرف عنه ﷺ ، بل إن الأمر بالتدبر موجه إليه ﷺابتداءً ؛ إذ هو المبلِّغ لكلام الله، فهو داخل في الأمر ابتداءً، ولقد كان عليه الصلاة والسلام في غاية التدبر والتفكر لكتاب الله تعالى(٣)،

والقراءة الثانية:﴿ **لتدَّبَّرُوا** ﴾ قال الطبري (ت٣١٠هـ) :"وقراءة أبي جعفر وعاصم "لِتَدَّبَّرُوا آياته" بالتاء، بمعنى: لتتدبره أنت يا محمد وأتباعك" (٤)،وقال ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ):" وقرأ أبو جعفر لِتَدَّبروا (بتاء الخطاب وتخفيف الدال وأصلها : لتتدبروا، فحذفت إحدى التاءين اختصاراً، والخطاب للنبي ﷺ ومن معه من المسلمين"(٥). كما أن في هذه القراءة توجيه اشتراك الأمة بالتوجيه الرباني بأن تتدبر كتاب ربها –سبحانه وتعالى– ، فهي مقصودة بالتدبر مخاطبة به.

وقال الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) :"وفي الآية دليل على أن الله إنما أنزل القرآن للتدبر والتفكر في معانيه، لا لمجرد التلاوة بدون تدبر"(٦).

المبحث الثاني : مقاصد التدبر وأهميته:

لقد بيّن المولى –سبحانه وتعالى– أن الغاية والقصد من نزول القرآن هو العمل به، والالتزام بتعاليمه، وتحصيل هذه الأمور بتدبر القرآن والتفكر في معانيه ؛ ولذلك فإن قراءة سورة بتدبر خير من قراءة عدد من السور بدون ذلك ، قال تعالى:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾{ ص: ٢٩ }، قال الطبري (ت٣١٠هـ):" أي ليتدبروا حجج الله التي فيه، وما شرع فيه من شرائعه، فيتعظوا ويعملوا به"(٧)،

---

(١) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري ٣٦١/٢.

(٢) البحر المحيط ، لأبي حيان ٣٧٩/٧.

(٣) نظم الدرر ٣٨٢/٦.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩٠/٢١، المبسوط في القراءات العشر ص (٣١٩).

(٥) التحرير والتنوير٢٥٢/٢٣.

(٦) فتح القدير٤٣٠/٤.

به"(١)، وقال الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) :" والمعنى كتاب أنزلناه إليك يا محمد كثير الخير والبركة"(٢)، ولا شك أن القرآن تكمن بركته في أمور كثيرة منها : كثرة أوامره ونواهيه، وتنوّع مواعظه وزواجره، والاعتبار بما فيه من القصص والأخبار، وتعقّل أمثاله المضروبة وما اشتمل عليه من الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، من أجل أن يرعوي العبد فيستدرك ما وقع له من تقصير، ويزداد من الإقبال والتشمير في طاعة الله –تعالى- لتحصل له السعادة في الدارين.

وقال السيوطي (ت٩١١ هـ):" وتُسنّ القراءة بالتدبر والتفهم فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب"(٣)، فالمقصود أن يكون هذا القرآن منهاجاً للعمل وهادياً للسلوك ؛ لأن من تدبَّر كلام الله كان ذلك دافعاً له للعمل، ومن أحسن العمل نال المنازل العالية في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يحبه الله ويحبه الناس، وترتفع منزلته عندهم، قال ﷺ : (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين") (٤)، وفي الآخرة له الدرجات العلى ،قال ﷺ : (يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة (البقرة، وآل عمران) ، وضرب لهما رسول اللهﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال: "كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق(٥)، أو كأنهما حزقان(٦)من طير صواف تحاجان عن صاحبهما)(٧).

وبدون العمل يصبح العلم وبالاً على صاحبه، فما وقر في القلب، وما استوعبه الذهن، يزداد رسوخاً إذا صدّقته الأفعال .

قال الزرقاني (ت١٣٦٧هـ):" وما من شك أن العمل بالعلم يقرّره في النفس أبلغ تقرير ، وينقشه في صحيفة الفكر أثبت نقْش ، على نحو ما هو معروف في فن التربية وعلم النفس، من أن التطبيق يؤيد المعارف والأمثلة تقيد القواعد، ولا تطبيق أبلغ من العمل، ولا مثال أمثل من الاتباع، خصوصاً المعارف الدينية فإنها تزكو بتنفيذها وتزيد باتباعها، قال تعالى:" ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾{الأنفال: ٢٩}،أي هداية ونوراً تُفرّقون به بين الحق والباطل وبين الرشد والغي"(٨)، لذلك ينبغي أن يكون التدبر دافعاً للعمل المثمر الذي يكسب صاحبه

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١/١٩٠.

(٢) فتح القدير ٤/٤٣٠.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٤٠

(٤) صحيح مسلم ١/٥٥٩ح(٨١٧).

(٥) شرق : الضَّوءُ وهو الشمس ، النهاية في غريب الحديث ٢/١١٤٣.

(٦) حِزقان: لحِزْق والحَزِيقَة : الجماعة من كل شيء، النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٩٤٨.

(٧) صحيح مسلم ١/٥٤٤ح(٨٠٥).

(٨) مناهل العرفان ١/٣١١.

السعادة في الدارين.

ولقد أشار النبي ﷺ إلى تعلم القرآن الكريم، وبيّن ثماره، كون التعلم آله ووسيلة لتدبر القرآن فقال ﷺ : (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده)(١).

وعن عقبة بن عامر قال: خرج رسول الله ﷺونحن في الصفة فقال: (أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان(٢)أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين(٣)في غير إثم ولا قطع رحم ؟) فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك قال: (أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله ﷻ خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل ؟)(٤).

والحاصل أنه ﷺ أراد ترغيبهم في الباقيات وتزهيدهم عن الفانيات، فذِكرُه هذا على سبيل التمثيل والتقريب إلى فهم العليل، وإلا فجميع الدنيا أحقر من أن يقابل بمعرفة آية من كتاب الله –تعالى– ، أو بثوابها من الدرجات العلى(٥).

المبحث الثالث: وسائل تدبر القرآن:

لا يمكن للفرد أو المجتمع تحقيق معنى التدبر المطلوب إلا بواسطة وسائل عديدة ، فهي الحجر الأساس، وبدون معرفتها وتطبيقها وممارستها عملياً تصبح تلك المعلومات مجرد نظريات وأمنيات ، ومن هذه الوسائل:

١– الدعاء :

وهذه هي نقطة البداية مع تدبر القرآن ، فالدعاء من أهم مفاتيح فهم القرآن ووعيه، فمهما بذل الإنسان من وسائل، ومهما اتخذ من طرق، ومهما توفّرت لديه الإمكانات البشرية والمادية، ومهما اجتهد فلن يظفر بمراده إذا لم يُعنه مولاه –سبحانه وتعالى–، فليدعُ العبد ربه أن يرزقه العيش في رحاب القرآن، وأن ييسّر له فهم آياته وألفاظه، وأن يجعله ربيعاً لقلبه وفؤاده.

٢ – الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم:

وليس المراد بها هنا مجرد التلفظ بالتعوذ، بل استعاذة حقيقية، قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ):" والمعنى في

---

(١) صحيح مسلم ٤/٢٠٧٤ح(٢٦٩٩).

(٢) بُطحان : هو وَادٍ من أودية المدينة مَسِيلٌ للماء ، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير٣/٥٣٣.

(٣)كوماوين: تثنية كوماء، وهي من الإبل العظيمة السنام، كشف المشكل من حديث الصحيحين ١/١١١٢.

(٤) صحيح مسلم١/٥٥٣ح(٨٠٣).

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ٤/٢٣١.

الاستعاذة عند ابتداء القراءة ؛ لئلا يُلبس على القارئ قراءته ويخلط عليه، ويمنعه من التدبر والتفكر"(١)، فهي تمهيد للجو الذي يُتْلَى فيه كتاب الله، وتطهير له من الوسوسة واتجاه بالمشاعر إلى الله خالصة ، لا يشغلها شاغل من عالم الرجس والشر الذي يمثله الشيطان.

٣- تفعيل وسائل التدبر الإدراكية في النفس ومنها:

أ- إعمال السمع في الإنصات للقرآن:

وقد ذكر السمع مُقدّماً على الحواس كلها في أغلب المواضع في القرآن لأهميتها.

قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) :"وفي تقديم السمع على البصر في مواقعه من القرآن دليل على أنه أفضل فائدة لصاحبه من البصر ؛ فإن التقديم مؤذن بأهمية المقدّم ؛ وذلك لأن السمع آلة لتلقي المعارف التي بها كمال العقل ، وهو وسيلة بلوغ دعوة الأنبياء إلى أفهام الأمم على وجه أكمل من بلوغها بواسطة البصر لو فقد السمع، ولأن السمع ترد إليه الأصوات المسموعة من الجهات الست بدون توجه، بخلاف البصر فإنه يحتاج إلى التوجه بالالتفات إلى الجهات غير المقابلة"(٢).

ولأجل ذلك حثَّ الله -تعالى- على إعمال السمع فقال: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾{الأعراف: ٢٠٤}، قال الطبري (ت٣١٠هـ):" أصغوا له سمعكم ؛ لتتفهموا آياته، وتعتبروا بمواعظه، وأنصتوا إليه لتعقلوه وتتدبروه، ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه"(٣).

ولقد أثنى الله على الجن عند استماعهم للقرآن، وتأدبهم في مجلس الاستماع، فقال تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾{الجن: ١-٢}، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾{الأحقاف:٢٩} فقد استمعوا صامتين منتبهين حتى النهاية ،فلما انتهت التلاوة لم يلبثوا أن سارعوا إلى قومهم ،وقد حملت نفوسهم ومشاعرهم منه ما لا تطيق السكوت عليه أو التلكؤ في إبلاغه والإنذار به.

قال الآجري (ت٣٦٠هـ):" وقد أخبرنا الله عن الجن في حُسن استماعهم للقرآن واستجابتهم لما ندبهم إليه، ثم رجعوا إلى قومهم، فوعظوهم بما سمعوا من القرآن، بأحسن ما يكون من الموعظة"(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٦٠٢/٤.

(٢) التحرير والتنوير ٢٥٨/١.

(٣) جامع البيان ٣٤٤/١٣-٣٤٥.

(٤) أخلاق حملة القرآن ٢/١.

ولقد أحب النبي ﷺ أن يستمع للقرآن من غيره، فعن عبدالله بن مسعود ﵁قال: قال لي النبي ﷺ : (اقرأ علي) ، قلت: آقرأ عليك وعليك أنزل ؟، قال: (فإني أحب أن أسمعه من غيري) ، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾{النساء: ٤١}، قال: (أمسك) ، فإذا عيناه تذرفان(١). فتأثر النبي ﷺ بذلك ، وما يكون عليه الحال يوم القيامة من هول ، وشدة الأمر ؛ إذ يؤتى بالأنبياء شهداء على أممهم ، ويؤتى به ﷺيوم القيامة شهيداً عليهم جميعاً.

ولقد تأثر بعض الصحابة عند سماعهم للقرآن فأسلموا، فعن جبير بن مطعم عن أبيه ﵁، وكان في أساري بدر، قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾{الطور: ٣٤- ٣٦} كاد قلبي أن يطير"(٢).

قال الخطابي (ت٣٨٨هـ) : "كأنه انزعج عند سماع هذه الآية ؛ لفهمه معناها ومعرفته بما تضمنته، ففهم الحجة فاستدركها بلطيف طبعه"(٣).

وقد صنف ابن القيم الناس عند سماع القرآن إلى ثلاثة أنواع، فقال:" رجلٌ قلبُه ميتٌ، فذلك الذي لا قلبَ له، فهذا ليست الآية ذكرى في حقه.

الثاني: رجلٌ له قلب حيٌّ مستعدٌّ، لكنه غير مستمعٍ للآيات المتلُوةِ، التي يخبر بها الله عن الآيات المشهودة، إما لعدم وُرُودها، أو لوصولها إليه وقلبه مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب ليس حاضرًا، فهذا أيضًا لا تحصُلُ له الذكرى، مع استعداده ووجود قلبه.

والثالث: رجلٌ حيُّ القلب مستعدٌّ، تُليت عليه الآيات، فأصغى بسمعه، وألقى السمع، وأحضر قلبه، ولم يشغلْه بغير فهم ما يسمعُهُ، فهو شاهدُ القلب، مُلقي السَّمع، فهذا القِسمُ هو الذي ينتفع بالآيات المتلوَّة والمشهودة.

فالأول: بمنزلة الأعمى الذي لا يُبصر.

والثاني: بمنزلة البصير الطَّامح ببصره إلى غير جهة المنظور إليه، فكلاهما لا يراه.

والثالث: بمنزلة البصير الذي قد حدَّق إلى جهة المنظور، وأتبعه بصره، وقابله على توسُّطٍ من البُعد والقربِ، فهذا هو الذي يراه"(٤).

---

(١) صحيح البخاري١٦٣٧/٤ح(٤٣٠٦)،صحيح مسلم ٥٥١/١ح(٨٠٠).

(٢) صحيح البخاري ١١١٠/٣ح(٢٨٨٥)،١٨٣٩/٤ح(٤٥٧٣).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر ٦٠٣/٨.

(٤) مدارج السالكين ٣٥٣/٩-٣٥٤.

ب- إعمال البصر في تدبر القرآن :

كلمة بصر تطلق على الجارحة الناظرة(١)، كما في قوله تعالى:" ﴿كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾ {القمر: ٥٠}، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ {السجدة: ١٢}، أما قوة القلب المدركة فيقال لها بصيرة (٢)، نحو قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ {ق: ٢٢}، فالبصيرة تختلف عن البصر، فهي قوة القلب المدركة وجمعها بصائر، أما البصر فجمعه أبصار(٣).

وكلمة نظر إذا أُطلقت يراد بها تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد بها التأمل والتفحص لإدراك الشيء (٤)، ومنها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ {الأعراف: ١٨٥}،والنظر يشمل: النظر في آيات الله المشهودة ، والنظر في آياته المسطورة ، والنظر في سننه في الأمم السابقة .

أما رأى ومشتقاتها فتعني النظر بالعين والقلب وإدراك المرئي، والهدف من ذلك التدبر والاعتبار، ولقد وضع القرآن الكريم أسساً وأطواراً مختلفة للإدراك البصري الصحيح ، يبدأ بنظرة كلية إجمالية ثم بنظرة تحليلية للموقف، وإدراك العناصر المكوّنة له، وقد تضمّنت آيات سورة الملك تلك الأسس العملية في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ {الملك: ٣}(٥).

قال ابن القيم (٧٥١هـ) :" لا ينتفع الناظر بمجرد رؤية العين حتى ينتقل منه إلى نظر القلب في حكمة ذلك ، وبديع صنعه والاستدلال به على خالقه وباريه ، وذلك هو الفكر بعينه"(٦).

ج – اقتران القلب بحاستي السمع والبصر :

قال ابن القيم (ت٧٥١هـ) :" ارتباط القلب بحاستي السمع والبصر أشد من ارتباطه بغيرهما، ووصول الغذاء

---

(١) تاج العروس ٢٤٥/١٤.

(٢) المصدر السابق ٢٤٥/١٤.

(٣) تاج العروس ٢٤٥/١٤.

(٤) المصدر السابق ٢٤٥/١٤.

(٥) تدبر القرآن بين النظرية والتطبيق د. رقية العلواني ص(٤٦).

(٦) مفتاح دار السعادة ٢١٣/١.

منهما إليه أكمل وأقوى من سائر الحواس، وانفعاله عنهما أشد من انفعاله عن غيرهما، ولهذا تجد في القرآن اقترانه بهما أكثر من اقترانه بغيرهما ، بل لا يكاد يقرن إلا بهما أو بأحدهما"(١)، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾{الأعراف: ١٧٩}، وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾{النحل: ٧٨}.

وسر الاقتران: أن هذه الثلاثة : هي طرق العلم وهي : السمع، والبصر، والعقل.

قال الشيخ السعدي (ت١٣٧٦هـ) : "خص هذه الأعضاء الثلاثة، لشرفها وفضلها، ولأنها مفتاح لكل علم، فلا يصل للعبد علم إلا من أحد هذه الأبواب الثلاثة، وإلا فسائر الأعضاء والقوى الظاهرة والباطنة هو الذي أعطاهم إياها، وجعل ينميها فيهم شيئاً فشيئاً إلى أن يصل كل أحد إلى الحالة اللائقة به ؛ وذلك لأجل أن يشكروا الله، باستعمال ما أعطاهم من هذه الجوارح في طاعة الله، فمن استعملها في غير ذلك كانت حجة عليه وقابل النعمة بأقبح المقابلة"(٢).

والقلب هو المخاطب في الحقيقة ؛ لأنه موضع التمييز والاختبار، وأما سائر الأعضاء فمُسَخَرَة له(٣)،فإن صلح صلحت الأعضاء ، وإن فسد فسدت.

فعن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (...ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)(٤).

قال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) : "والقلب هو الملك والأعضاء جُنُودُهُ، وَإِذَا صَلَحَ صَلَحَ سَائِرُ الْجَسَدِ، وَإِذَا فَسَدَ فَسَدَ سَائِرُ الْجَسَدِ، فَيَبْقَى يَسْمَعُ بِالْأُذُنِ الصَّوْتَ كَمَا تَسْمَعُ الْبَهَائِمُ"(٥).

ومن المعلوم أن القلب إذا أحب شيئاً تعلق به، واشتاق إليه ،وشغف به ،وانقطع عما سواه.

٤- ترتيل القرآن وحضور القلب عند تلاوته:

يستحب ترتيل القرآن لما فيه من تعظيم له، والترتيل معناه: التنسيق والتنضيد، ويعني إرسال الكلمة من الفهم

---

(١) مدارج السالكين ١٣٢/٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص(٤٤٥).

(٣) مفاتيح الغيب ١٤٢/٢٤.

(٤) صحيح البخاري ٢٨/١ح(٥٢)، صحيح مسلم /١٢١٩ح(١٥٩٩).

(٥) مجموع الفتاوى ٢٧/٧.

بسهولة واستقامة بحيث تكون على نسق واحد بما يعين على فهم المعنى (١). وقد حثّ الله على ترتيله فقال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾ {المزمل: ٤}،قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ):" أي: اقرأه على تمهل، فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره"(٢)، وقال تعالى:﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾{الإسراء: ١٠٦}.

قال الجصاص (ت٣٧٠هـ) : " فرقناه بالبيان عن الحق من الباطل، وقوله :" لتقرأه على الناس على مكث" ، يعني على تثبت وتوقف ليفهموه بالتأمل ويعلموا ما فيه بالتفكر ، ويتفقهوا باستخراج ما تضمن من الحكم والعلوم الشريفة"(٣).

وقال الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) :" أي على ترسل وتمهل في التلاوة، فإن ذلك أقرب إلى الفهم وأسهل للحفظ "(٤).

والتمهل في قراءة القرآن أدعى للفهم والتدبر، وهذه صفة قراءة النبي ﷺ والصحابة –رضوان الله عليهم–

فعن حذيفة ﷺ قال:" صليت مع النبي ﷺذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسّلاً إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوّذ تعوَّذ، ثم ركع فجعل يقول: سبحان ربي العظيم ، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ثم قام طويلاً قريباً مما ركع، ثم سجد فقال: سبحان ربي الأعلى، فكان سجوده قريباً من قيامه، (قال) وفي حديث جرير من الزيادة فقال: سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد"(٥). هكذا كانت قراءة رسول الله ﷺقراءة تدبر ونظرٍ وتفكر.

قال الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله– (ت١٤٢١هـ) : " فجمع عليه الصلاة والسلام بين القراءة وبين الذكر وبين الدعاء وبين التفكر ؛ لأن الذي يسأل عند السؤال، ويتعوّذ عند التعوذ، ويسبِّح عند التسبيح، لا شك أنه يتأمل قراءته ويتفكر فيها، فيكون هذا القيام روضة من رياض الذكر، قراءة وتسبيحاً ودعاءً وتفكراً، والنبي عليه الصلاة والسلام في هذا كله"(٦).

وعن أم سلمة –رضي الله عنها– أنها سُئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت :"كان يقطع قراءته آية آية﴿

---

(١) تاج العروس ٣٢/٢٩، نقل بتصرف.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٢٥٠/٨.

(٣) أحكام القرآن، ٣٥/٥.

(٤) فتح القدير، للشوكاني ٢٦٤/٣.

(٥) صحيح مسلم، ٥٣٦/١ح(٧٧٢).

(٦) شرح رياض الصالحين، ٩٣/٢.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾{ الفاتحة :١-٤ }"(١).

وفي لفظ: " ثم نعَتتْ قراءته، فإذا هي تنعتُ قراءة مُفسَّرة حرفاً حرفاً"(٢).

وعن حفصة -رضي الله عنها- أنها قالت :"ما رأيت رسول الله ﷺ صلّى في سُبحته(٣)قاعداً حتى كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سُبحته قاعداً وكان يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها"(٤).

فإذا كان هذا الترتيل والتوقف مع كل آية من جانب الرسول ﷺ ، والصحابة – رضوان الله عليهم – ، فحري بالأمة اليوم أن تقتدي بهم.

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : " تعلم عمر بن الخطاب ﷺ البقرة في اثني عشرة سنة، فلما أتمها نحر جزوراً"(٥). وهذه المدة الطويلة التي استغرقها في الحفظ ليس عجزاً من عمر ﷺ ولا انشغالاً عن القرآن ؛ ؛ ولكن تدل على مدى التدبر والتفكر لما في السورة من أحكام وواجبات ونواه.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ ، قال: قال رسول الله ﷺ : (لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث)(٦). وهذا يدل على أن الثلاث هي الحد الأدنى ، وأنه لا ينقص عنها ، وأنه من نقص عنها فإنه لا يفقه القرآن ولا يتدبره ؛ لأن ذلك لا يتأتى بسرعة شديدة.

وهذه القراءة المرتّلة تحتاج إلى حضور القلب ؛ لأنه أدعى للانتفاع ، قال ابن القيم (ت٧٥١هـ) : " إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه وألق سمعك ، واحضر حضور من يخاطبه من تكلم به سبحانه منه إليه ، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴾{ق:٣٧}.وذلك أن تمام التأثر لما كان موقوفاً على مُؤثّر مقتضٍ ، ومحل قابل، وشرط لحصول الأثر وانتفاء المانع الذي يمنع منه ، تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه،

---

(١) مسند أحمد ٣٠٢/٦ح(٢٦٦٥٢)، سنن أبي داو٤٣٣/٢ح(٤٠٠١)، مستدرك الحاكم ٢٥٢/٢ح(٢٩١٠)، أخرجه الجميع من طرق عن ابن جريج، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن أم سلمة، وقال الحاكم :" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، و له شاهد بإسناد صحيح عن أبي هريرة. قلت: وله شاهد في البخاري من حديث أنس رضي الله عنه رقم (٤٧٥٩).

(٢) سنن الترمذي١٨٢/٥ح(٢٩٢٣) أخرجه من طريق ابن أبي مليكة، عن يعلى بن مملك، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) سبحته : أي نافلته ، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٣١١/٢.

(٤) صحيح مسلم ٥٠٧/١ح(٧٣٣).

(٥) شعب الإيمان، للبيهقي ٣٣١/٢ رقم (١٩٥٧) ، أخرجه من طريق مالك بن أنس، عن نافع. وإسناده صحيح.

(٦) سنن أبي داود٤٤٣/١ح(١٣٩٤)، سنن الدارمي٤١٨/١ح(١٤٩٣)،صحيح ابن حبان ٣٥/٣ح(٧٥٨)، الجميع أخرجوه من طرق عن قتادة، عن أبي العلاء يزيد بن عبد الله، وصححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود ١٣٨/٥).

وأدله على المراد "(١).

وقال ابن مسعود ﷺ في وصف القراءة التي ينبغي أن يكون عليها المؤمن: " لا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدقل(٢)، وَلا تَهُذُوهُ هَذَّ الشِّعْرِ ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ"(٣).

٥- تحسين الصوت والتغني بالقرآن:

وهو من أفضل الوسائل المعينة على التدبر والتأمل، ولهذا يجد الإنسان من نفسه حُب سماع القرآن حين يقرأ به القارئ الماهر ذي الصوت الحسن ، وقد وقف النبي ﷺمرة يستمع لقراءة أبي موسى ﷺ وقال: (لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة ، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود) (٤)، قال أبو موسى :"لو كنت أعلمتني لحبَّرتُ ذلك تحبيراً"(٥).

فالصوت الحسن له أثرٌ كبيرٌ في تدبر كلام الله –تعالى- ، وقد حثَّ النبيُّ ﷺ على تزيين الصوت عند قراءة القرآن، فقال ﷺ: (زيِّنوا القرآن بأصواتكم) (٦) وقال ﷺ: (ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن)(٧).

قال النووي (ت٦٧٦هـ) :" أجمع العلماء ﷺ من السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومَنْ بعدهم من علماء الأمصار أئمةِ المسلمين على استحباب تحسين الصوت بالقرآن، وأقوالهم وأفعالهم مشهورةٌ نهاية الشهرة، فنحن مستغنون عن نقل شيء من أفرادها، ودلائل هذا من حديث رسول الله ﷺ؛ مستفيضةٌ عند الخاصة والعامة"(٨).

وقال ابن كثير (ت٧٧٤هـ) : " قد فهم من هذا أن السلف ﷺ إنما فهموا من التغني بالقرآن: إنما هو تحسين الصوت به، وتحزينه، كما قاله الأئمة، -رحمهم الله- "(٩)، وقال: "والمراد من تحسين الصوت بالقرآن: تطريبه

---

(١) الفوائد ص(٣).

(٢) الدقل: هو رَدِيء التَّمر ويابِسُه وما لَيس له اسْم خاصٌ فَتراه لِيُبْسه ورَدَاءته لا يجْتَمِع ويكون مَنْثُورا، النهاية في غريب الحديث والأثر ،لابن الأثير ٢/ ٢٩٩.

(٣) أخلاق حملة القرآن ٤/١ ح(٢)، أخرجه من طريق أَبِي جمرةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ،عَنْ عَلْقَمَةَ، وإسناده صحيح.

(٤) صحيح مسلم ٥٤٦/١ح(٧٩٣).

(٥) سنن النسائي الكبرى ٢٣/٥ح(٨٠٥٨).

(٦) مسند الإمام أحمد٢٨٣/٤ح(١٨٥١٧)، سنن الدارمي ٥٦٥/٢ح(٣٥٠٠)، سنن أبي داود ٤٦٤/١ح(١٤٦٨)، سنن النسائي الكبرى ٣٤٨/١ح(١٠٨٨)، سنن ابن ماجه٤٢٦/١ح(١٣٤٢)،صحيح ابن خزيمة٢٤/٣ح(١٥٥١)،صحيح ابن حبان ٥٢/٣ح(٧٤٩)، مستدرك الحاكم ٧٦٢/١ح(٢١٠١) الجميع أخرجوه من طرق عن منصور، عن طلحة اليامي عن عبد الرحمن بن عوسجة، عن البراء بن عازب، وصححه الألباني (في صحيح سنن أبي داود ٢٠٨/٥ح(١٣٢٠).

(٧) صحيح البخاري٢٧٣٧/٦ح(٧٠٨٧)، صحيح مسلم ٥٤٥/١ح (٧٩٢) أخرجاه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٨) التبيان في آداب حملة القرآن، ص(١٠٩).

(٩) تفسير القرآن العظيم ٦٢/١.

وتحزينه والتخشع به"(١).

ولذا ينبغي لمن رزقه الله حُسن الصوت بالقرآن أن يعلم أن الله ﷻ قد خصّه بخير عظيم، فليجعل مراده حين يقرأ للناس أن ينتبه أهل الغفلة من غفلتهم ، فيرغبوا فيما أمرهم الله ﷻ ، وينتهوا عما نهاهم، وبهذا ينتفع بحسن صوته وينتفع الناس به.

٦- حب القرآن واستشعار عظمته:

فمن المعلوم أن القلب إذا أحب شيئاً تعلق به، واشتاق إليه، وشغف به، وانقطع عما سواه، واجتمع على فهمه ووعيه، فيحصل بذلك التدبر والفهم العميق، وبالعكس إذا لم يوجد الحب فإن إقبال القلب على القرآن يكون صعباً، وانقياده إليه يكون شاقاً لا يحصل إلا بالمجاهدة والمغالبة، وعليه فتحصيل حب القرآن من أنفع الأسباب لحصول أقوى وأعلى مستويات التدبر، وخير الأسباب وأنفعها لحب القرآن هو القراءة عن عظمة القرآن مما ورد في القرآن والسنة وأقوال السلف في تعظيمهم للقرآن وحبهم له.

٧- التواضع واللين لتدبر القرآن وفهم معانيه وأخذها ودراستها:

أخذنا هذا المعنى عندما ذكر الله اليهود والنصارى بقوله: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾{المائدة: ٨٢-٨٣}، فقد وصف النصارى بأن منهم قسيسين ورهباناً، وأنهم لا يستكبرون عن قبول الحق، وإذا سمعوا القرآن فاضت أعينهم بالدمع، قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ) : "تضمن وصفهم بأن فيهم العلم والعبادة والتواضع، ثم وصفهم بالانقياد للحق واتباعه والإنصاف"(٢).

وقال السعدي (ت١٣٧٦هـ) : " ليس فيهم تكبّر ولا عتوٍ عن الانقياد للحق ؛ وذلك موجب لقُربهم من المسلمين ومن محبتهم، فإن المتواضع أقرب إلى الخير من المستكبر"(٣).

فالتواضع والإقرار بالحق عند ظهوره من الأشياء المعينة على تدبر القرآن ، ولذلك ينبغي للمؤمن أن يكون متواضعاً، يرجع إلى الحق إذا ظهر له، وإذا ذكر بالقرآن تذكر، وقد أمر الله نبيه ﷺ بقوله: ﴿ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾{ق: ٤٥ }؛ لأن بعض الناس تأخذه العزة بالإثم إذا ذُكِّرَ بالقرآن، فيحول بينه وبين فهمه،

---

(١) المصدر السابق ٦٣/١.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٦٨/٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص(٢٤١).

قال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾{الأعراف: ١٤٦ }، وهذا مشاهد بأن المتكبر يحرم من بركة القرآن الكريم.

٨- اختيار الوقت المناسب للقراءة:

ومن أفضل الأوقات وأنسبها وقت الليل ، قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾{الزمر: ٩}، وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾{الإسراء: ٧٩}.

وعن أبي بن كعب ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : (يا أيها الناس اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه...)(١). ولا يخفى ما في الحديث من تضمين لآيتي النازعات: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾{النازعات: ٦-٧}، وما في ذلك من تدبر عجيب لهذه الحقيقة الإيمانية في جوف الليل ؛ وذلك لِشَبَهِ الليل بظلمة القبر من جهة، ولأن الليل — من جهة أخرى - هو موتٌ لحركة النهار، وفي ذلك أيضا إشارة إلى أن على المؤمن أن يجعل تفكّره في الظواهر الكونية مرتبطاً بتدبّره للآيات القرآنية، بسبب ما ينتج عن ذلك من التشمير والجد والعمل، حيث تقع الآيات بعد ذلك على النفس الكسولة الغافلة، موقع السوط اللاهب على ظهر الدابة الخاملة، فتقفز مسرعة بصاحبها في الطريق إلى الله.

٩- ترديد الآيات المقروءة والوقوف معها :

وهو من أهم الوسائل المعينة على سرعة الانتفاع بالقرآن، وتدبره، فبالتكرار يتذوق المتدبر حلاوة القرآن ، ويزول عن القلب الغفلة -بإذن الله- ، وهو فعل الرسول ﷺ والصحابة ﷺ .

فعن أبي ذرﷺ قال:" قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها، والآية : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾{المائدة :١١٨ }"(٢).

فهذا رسول الله ﷺ يُقدّم التدبر على كثرة التلاوة، فيقرأ آية واحدة فقط في ليلة كاملة.

قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ) : " هذا الكلام يتضمن ردّ المشيئة إلى الله ﷻ ، فإنه الفعال لما يشاء، الذي لا

---

(١) مسند أحمد ١٣٦/٥ح(٢١٢٧٩)، سنن الترمذي٦٣٦/٤ح(٢٤٥٧)، المستدرك على الصحيحين٥٥٨/٢ح(٣٨٩٤)، أخرجوه من طرق عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح. وحسنه الألباني في الجامع الصغير ١٣٨٣/١ح(١٨٣٢١).

(٢) مسند أحمد، ١٥٦/٥ ،سنن النسائي الكبرى، ٣٣٩/٦ح(١١١٦١) ، المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣٦٧/١ ح(٨٧٩)، سنن ابن ماجه٤٢٩/١ ح(١٣٥٠)، الجميع أخرجوه من طرق عن قدامة بن عبدالله، عن جسرة بنت دجاجة، واللفظ لابن ماجه. وقال النووي: رواه النسائي وابن ماجه بإسناد حسن. خلاصة الأحكام ٥٩٥/١.

يُسأل عما يفعل وهم يسألون، ويتضمن التبري من النصارى الذين كذبوا على الله، وعلى رسوله، وجعلوا لله ندًا وصاحبة وولدًا ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وهذه الآية لها شأن عظيم ونبأ عجيب، وقد ورد في الحديث: أن رسول الله ﷺ قام بها ليلة حتى الصباح يرددها" (١). وعلى هذا فإن تكرار القراءة للآية مراراً، وترديدها وسيلة للوقوف على معانيها ومراميها.

وعن محمد بن كعب القرظي قال : " لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بإذا زُلزلت، والقارعة، لا أزيد عليهما وأتردد فيهما وأتفكر أحب إلي من أن أهذ القرآن ليلتي هذاً أو قال أنثره نثراً"(٢).

وعن أبي جمرة قال: قلت لابن عباس : إني سريع القراءة إني أهذُ القرآن، فقال ابن عباس :" لأن أقرأ سورة البقرة فأرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله هذرمة(٣) "(٤).

وعن عباد بن حمزة بن عبدالله بن الزبير قال : " دخلت على أسماء وهي تقرأ : ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾{الطور:٢٧ }قال: فوقفت عليها فجعلت تستعيذ وتدعو، قال عباد: فذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي ثم رجعت وهي فيها بعد تستعيذ وتدعو"(٥).

قال ابن قدامه (ت٧٤٢هـ) : " وليعلم القارئ أن ما يقرؤه ليس من كلام بشر، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه ويتدبّر كلامه ، فإن التدبر هو المقصود من القراءة ، وإن لم يحصل التدبر إلا بترديد الآية فليرددها"(٦).

وقال ابن القيم (ت٧٥١هـ) : " فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكّر حتى إذا مرَّ بآية وهو يحتاج إليها في شفاء قلبه كرّرها، ولو مائة مرة ولو ليلة ، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم ، وأنفع للقلب ، وأدعى إلى حصول الإيمان ، وذوْق حلاوة القرآن "(٧).

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢٣٣/٣-٢٣٤.

(٢) مصنف بن أبي شيبة ٢٥٦/٢رقم (٨٧٣٢) ، أخرجه من طريق وكيع، قال: حدثنا عبيدالله بن عبدالرحمن بن موهب ، عن محمد بن كعب القرظي، وإسناده ضعيف ، لضعف عبيدالله بن عبدالرحمن ،تقريب التهذيب ص(٣٧٣).

(٣) هذرمة : أي بسرعة، النهاية في غريب الحديث والأثر ٥٨٢/٥.

(٤) مصنف عبد الرزاق، /٤٨٩ح(٤١٨٧)، سنن البيهقي ٥٤/٢ح(٢٢٥٨)، أخرجاه من طرق عن يزيد بن هارون، أنبأ حماد، عن أبي جمرة وإسناده صحيح، رجاله ثقات.

(٥) مصنف بن أبي شيبة٢٥/٢ رقم (٦٠٣٧) أخرجه من طريق هشام بن عروة، عن عبد الوهاب بن يحيى، وإسناده حسن، فيه (عبدالوهاب بن يحي بن عباد، قال ابن حجر : مقبول، تقريب التهذيب ص(٣٦٨).

(٦) مختصر منهاج القاصدين ، ص(٦٠).

(٧) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ١٨٧/١.

١٠- الابتعاد عن مجالس اللغو:

وهو أدعى لتدبر القرآن ، ولهذا لما أدرك المشركون خطورة القرآن وأثره على الناس ، قالوا كما أخبر عنهم العليم الخبير :﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾{ فصلت: ٢٦}،

قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ) : " قال مجاهد : {وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ} يعني: بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق على رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن قريش تفعله، وقال الضحاك، عن ابن عباس : ﴿ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ ﴾ عيبوه ، وقال قتادة:" اجحدوا به، وأنكِروه وعادوه ، ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾، هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار، ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن ط(١).

وقال السعدي (ت١٣٧٦هـ) :" أي: أعرِضوا عنه بأسماعكم، وإياكم أن تلتفتوا، أو تصغوا إليه ولا إلى من جاء به ، فإن اتفق أنكم سمعتموه ، أو سمعتم الدعوة إلى أحكامه ، ف { الْغَوْا فِيهِ } أي: تكلموا بالكلام الذي لا فائدة فيه، بل فيه المضرة، ولا تمكنوا -مع قدرتكم- أحدًا يملك عليكم الكلام به، وتلاوة ألفاظه ومعانيه، هذا لسان حالهم، ولسان مقالهم، في الإعراض عن هذا القرآن، ﴿ لَعَلَّكُمۡ ﴾ إن فعلتم ذلك ﴿ تَغۡلِبُونَ ﴾"(٢)

١١- صرف القلب عن موانع التدبر ، ومنها:

أ- الابتعاد عن الذنوب والمعاصي :

فالمعاصي كلها أضرار في الدين والدنيا، وهي من أكبر أسباب الطبْع على القلب ، قال تعالى : ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾{المطففين: ١٤}، قال الحسن، ومجاهد: "الران: هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب وتغشاه فيموت القلب"(٣)، وقال تعالى : ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾{الحج: ٤٦}قال السعدي (ت١٣٧٦هـ) :" أي: هذا العمى الضار في الدين، عمى القلب عن الحق، حتى لا يشاهده كما لا يشاهد الأعمى المرئيات" (٤).

وصاحب القلب المريض بالمعاصي أبعد الناس عن تدبر القرآن ؛ لأنه حُجب عن طريق العلم وهي التقوى قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾{البقرة:٢٨٢}، فالتدبر في كتاب الله وتفهّمه عِلمٌ من

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١٧٤/٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص(٧٤٨).

(٣) مفاتيح الغيب ٨٦/٣١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص(٥٤٠).

الله عز وجل ، ولا يُنال العلم بمعصية الله ؛ لأن حقيقة العلم نور يقذفه الله في القلب، والذنوب والمعاصي سبب الحرمان من هذا العلم.

وقال الزركشي (ت٧٩٤هـ): "واعلم أنه لا يحصل للناظر فهْم معاني الوحي حقيقة، ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة، وفي قلبه بدعة، أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كِبر، أو هوى، أو حب الدنيا، أو يكون غير متحقق الإيمان"(١).

ب- الغفلة عن سماع القرآن ، قال تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾{الأنبياء١-٣}، فلو تأملنا الآية لوجدنا أن أعظم مانع من تدبر القرآن هو الغفلة ، فالقلب الغافل بسبب اللهو والانشغال بالدنيا لا يتدبر، فصاحب هذا القلب يستمع القرآن بأذنه، ولا يصل إلى قلبه ؛ لأن حضور القلب وصفاءه يجعل صاحبه يرى معاني القرآن بوضوح ، ويحيا بها عملاً وسلوكاً ودعوة وتربية .

ج- الابتعاد عن الحسد، والحقد، والرياء، وحُب الظهور، وسوءِ الظن، والكِبر، والعُجب ، والتكبّر عن قبول الحق، والإصغاء إليه، لقوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾{الأعراف: ١٤٦ }، فيجب على الإنسان أن يبتعد عن هذه الأمراض ؛ لأنها تمنع القلب من تدبر القرآن، كما يجب عليه أن يبتعد عن ظلم الآخرين ، والوقوع في الحرام ، وأن يكون ماله حلالاً حتى يحقّق التدبر، وأن يكون صادقاً مع الله بحيث يرزقه الله التدبر والتأمل ، الأمر الذي يزيد في إيمانه ويقينه، ويحقق له السعادة والرضا(٢).

١٢- الاهتمام باللغة العربية:

فالقرآن الكريم نزل بها، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾{يوسف: ٢}، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾{ طه: ١١٣}، ولقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله – يقول : "اللغة العربية من الدين"(٣). ويكون الاهتمام بها من حيث التحدث بها وتعليم الأولاد، والرجوع إلى معاجمها لمعرفة معاني الكلمات المشكلة.

١٣- الرجوع إلى كتب التفاسير المعتمدة:

وذلك لمعرفة المعنى الإجمالي للآيات ، دون ضرورة الوقوف على التفاصيل والخوض في المطوّلات والشروح

---

(١) البرهان في علوم القرآن، ١٨٠/٢.

(٢) عدم تدبر القرآن د. ناصر العمر، موقع بصائر على الانترنت www.basaer-online.com

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ٥٣/١١.

والروايات، فليس من شرط التدبر أن يكون تفصيلياً لكل كلمة، بل قد يكون التدبر بإدراك المعنى الإجمالي ، وعقْل الكليات المراد بالآية، وهذا من أعظم أسباب تدبر القرآن الكريم ، فإن القرآن كثيراً ما يذكر في القصص مواطن العبرة، ويترك للفؤاد والعقل مطلق التأمل والتدبر ، فلا يكون هم القارئ أن ينتهي من السورة أو الجزء ، بل يكون همه الأول فهم المعاني وتدبرها(١).

١٤-دراسة سيرة رسول الله ﷺ:

فمن المعروف أنه ﷺ كان الترجمان الحقيقي للقرآن، وأنه كان خُلُقُه القرآن ، وأنه كان قرآناً يمشي ، فهو المبيِّن لمجمله، والموضِّح لمشكله، وإذا كان الأمر كذلك، فإن تدبر القرآن وفهمه لا يتأتَّى إلا بالرجوع إلى ما ثبت من سيرته ﷺوما صحّ من سننه .

١٥- ربط القرآن بالواقع:

وذلك بالتفاعل مع كل آية، واستشعار القارئ للقرآن أو المستمع له أنه المقصود بالخطاب، وأن كل خطاب في القرآن مُوجّه إليه، وذلك بالنظر في المواعظ التي يذكرها، والقصص التي يحكيها، وكيف أن الله أهلك أممًا كثيرة لما كذبوا وأعرضوا، وأن هذا المصير ينتظر كل من أعرض عن الله، وكفر برسله، مهما كانوا في قوة وعزة ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما قال المفسرون ، وهي قاعدة مهمة، حيث إن ما كان سبباً في نزول بعض آيات القرآن الكريم لا يقتصر على الحادثة فقط ، إنما تقاس عليها كل الحوادث المشابهة .

قال ابن قدامة (ت٧٤٢هـ) : " وينبغي لتالي القرآن أن يعلم أنه المقصود بخطاب القرآن ووعيده، وأن القصص لم يُرد بها السمر بل العبر"(٢).

ولقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- خير مثال للمؤمنين ، فحينما يقرؤون القرآن ، كانوا يستعملون فيه ذهنهم وفهمهم ، ويدركون أنهم المقصودون بالخطاب، وإن وقفةً مع بعض أحوالهم يتبين بها ما كانوا عليه من حسن التعامل مع هذا القرآن .فمن ذلك ما جاء :

عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: لما نزلت هذه الآية﴿ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾{الأنعام: ٨٢}، شقّ ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا : أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: (ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه : ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾){ لقمان: ١٣}(٣). ففهم الصحابة أنهم هم المعنيّون، فشكوا إلى النبي ﷺ فبيّن لهم أن الظلم المراد به في الآية هو الشرك ، فهان الأمر عليهم.

---

(١) تدبر القرآن بين النظرية والتطبيق، د. رقية طاهر جابر العلواني ص (٥٦).نقل بتصرف.

(٢) مختصر منهاج القاصدين ص(٦١).

(٣) صحيح البخاري ٢٥٤٢/٦ ح(٦٥٣٨).

وعن ابن مسعود ﷺ قال: "إذا سمعت الله يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فأرعِها سمعك ، فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه"(١). وهذا لكونهم أخذوا القرآن للتلقي والعمل، وأن كل ما فيه خطاب لكل من سمعه خطاب لكل من بلغه، وليس المخاطب فيه قوم دون آخرين.

وعن بهز بن حكيم قال:" أَمَّنا زرارة بن أوفى في مسجد بني قشير فقرأ المدثر، فلما انتهى إلى هذه الآية ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ {المدثر: ٨-٩} خرّ ميتاً، قال بهز: وكنت فيمن حمله"(٢)

المبحث الرابع : ثمار التدبر:

يُعدّ التدبر مفتاح كل خيرٍ وصلاحٍ سواءً في حياة الأفراد أو المجتمعات، وهو سبيل للارتقاء بجميع نواحي الحياة، ولقد بيّن القرآن الكريم الثمرات التي نحصل عليها في التدبر، وهي على نوعين:

أولاً: ثمار مباشرة، ومنها:

١- معرفة الله –تعالى- وتعظيمه:

إن مَنْ امتلأ قلبه معرفةً بالله وتعظيماً له، عَظَّمَ كلامه، وتمعَّنَ فيه، وأصغى إليه متأملاً متدبراً، ومن ثَمّ أخبر سبحانه أن المشركين لا ينتفعون بهذا الكتاب الكريم، فقال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ {فاطر: ٢٢}. قال ابن عباس: "عميت قلوبهم عن معرفة الله وقدرته وشدة بطشه"(٣).

وقال الطبري (ت٣١٠هـ):" كما لا يقدر أن يسمع من في القبور كتاب الله فيهديهم به إلى سبيل الرشاد، فكذلك لا يقدر أن ينفع بمواعظ الله وبيان حججه من كان ميت القلب من أحياء عباده عن معرفة الله، وفهم كتابه وتنزيله، وواضح حُججه"(٤)، وبيّن سبحانه كذلك أن سبب تكذيب المشركين هو عدمُ معرفتهم لله حق المعرفة، قال تعالى:﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ {الأعراف: ٦٤}.

ولا شكَّ أن تعظيم القرآن من تعظيم الله –تعالى- ، فكما أنه سبحانه عظيم في ذاته، فإنه عظيم في صفاته ومنها كلامه القرآني ، وقد سمّاه سبحانه برهاناً، ونوراً، وهدىً، وفرقاناً، وشفاءً لما في الصدور، فعظمه عند

---

(١) تفسير القرآن العظيم٣/٤٨٧.

(٢) سنن الترمذي ٢/٣٠٦ح(٤٤٥)، مستدرك الحاكم ٢/٥٥٠ح(٣٨٧١)، أخرجاه من طرق عن غياث بن المثنى، حدثني بهز ابن حكيم، (واللفظ للحاكم)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) زاد المسير في علم التفسير ٣/٢٢١.

(٤) جامع البيان عن تأويل القرآن ٢٠/٤٥٩.

المؤمنين؛ ليُعَظِّموا قدره ويفهموه، لينالوا شفاء قلوبهم(١).

وقال الحارث المحاسبي (ت٢٤٣هـ):" فإذا عَظُمَ في صدْرِك تعظيمُ المتكلِّم به، لم يكن عندك شيءٌ أرفعُ، ولا أشرفُ، ولا أنفعُ، ولا ألذُّ، ولا أحلى، من استماعِ كلام الله ﷻ ، وفهمِ معاني قوله، تعظيماً وحبَّاً له وإجلالاً ؛ إذ كان تعالى قائله، فحبُّ القولِ على قَدْرِ حُبِّ قائله"(٢).

وقال الشيخ السعدي (ت١٣٧٦هـ): "فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل"(٣)، وقال: "فهذه الغاية المقصودة من الخلق والأمر: معرفة الله وعبادته، فقام بذلك الموفّقون من عباد الله الصالحين، وأعرض عن ذلك الظالمون المعرضون"(٤).

٢- تحقق طمأنينة القلب :

وذلك أن المتدبر للقرآن يطمئن قلبه في أحواله ومآلاته كما تُبيِّنُ هذه الآية: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾{الرعد:٢٨ }، والقلوب إذا فقهت مراد الله من آياته، سار أصحابها إليه باطمئنان وثبات، لا تزعزعه بدع المحدثين، ولا تأويلات الجاهلين، ولا فتن المضلين،

قال ابن القيم (٧٥١هـ): " فما تزال معانيه تصده عن اقتحام طرق البدع والأضاليل، وتبعثه على الازدياد من النعم بشكر ربه الجليل، وتبصره بحدود الحلال والحرام، وتوقفه عليها لئلا يتعداها فيقع في العناء الطويل، وتثبت قلبه عن الزيغ والميل عن الحق والتحويل، وتسهل عليه الأمور الصعاب والعقبات الشاقة غاية التسهيل، وتناديه كلما فترت عزماته ووني في سيره، تَقَدَّم الركب وفاتك الدليل، فاللحاق اللحاق، والرحيل الرحيل، وتحدو به وتسير أمامه سير الدليل، وكلما خرج عليه كمين من كمائن العدو، أو قاطع من قطاع الطريق نادته: الحذر! الحذر!، فاعتصم بالله واستعن به وقل: حسبي الله ونعم الوكيل"(٥).

٣- زيادة الإيمان بالله -تعالى- وخشيته:

إن المتدبر للقرآن يستشعر عظمة الله فيزداد إيماناً، كما يبيّن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾{التوبة :١٢٤}، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾{الأنفال: ٢}.

---

(١) فهم القرآن ومعانيه، للحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي ص(٢٨٢).

(٢) المصدر السابق ص (٣٠٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص(٨١٣).

(٤) المصدر السابق ص(٨٧٢).

(٥) مدارج السالكين ١/٣٦٩-٣٧٠.

فالآية الأولى صريحة في زيادة إيمان المؤمنين بسبب تأمل القرآن وتدبره وفهم معانيه ومقاصده، مما ينتج عنه الخوف والرجاء من الله ، والعمل بما يتضمن من أوامر ونواهٍ ، قال مجاهد ، والسدي:" (وجلت قلوبهم): فرقت، أي: فزعت وخافت"(١)، وقال الربيع بن أنس: "(زادتهم إيماناً): زادتهم خشية"(٢).

وقال ابن كثير (ت٧٧٤هـ): "وهذه صفة المؤمن حق المؤمن ، الذي إذا ذُكر الله وجِل قلبه، أي: خاف منه، ففعل أوامره، وترك زواجره"(٣) ، فازدادوا إيمانًا بسبب فهمهم لما في القرآن من أحكام ثم العمل بها، والرغبة في فعل الخير ، ثم مع ذلك مستبشرون، يبشّر بعضهم بعضًا بهذه المنَّة العظيمة، من إنزال الآيات وفهمها، والعمل بها، مما يدل على أن صدورهم منشرحة، وقلوبهم مطمئنة، فيبادرون إلى العمل مع فرح واستبشار.

إن التدبر في القرآن له أثره في رِقّة النفوس وخشيتها من بارئها، ورجائها فيه، كما يبيّن هذا قوله تعالى :﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾[الزمر :٢٣]، قال قتادة (ت١١٨هـ) : "هذا نعت أولياء الله ، نعتهم الله بأن تقشعر جلودهم، وتبكي أعينهم، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم، إنما هذا في أهل البدع، وهذا من الشيطان"(٤).

وقال ابن كثير (ت٧٧٤هـ) : "هذه صفة الأبرار، عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار ؛ لما يفهمون منه من الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، تقشعر منهجلودهم من الخشية والخوف، ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ لما يرجون ويُؤمّلون من رحمته ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الكفار"(٥).

وقال الألوسي(١٢٧٠هـ) :"والمعنى أنهم إذا سمعوا القرآن وقوارع آيات وعيده أصابتهم رهبة وخشية تقشعر منها جلودهم وإذا ذكروا رحمة الله –تعالى- عند سماع آيات وعده تعالى وألطافه تبدّلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة "(٦).

ولقد كان عليه الصلاة والسلام أكثر خشيةً وتدبراً للقرآن من غيره ، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما – قال: بِتُّ عند خالتي ميمونة فتحدّث رسول ﷺ الله مع أهله ساعة، ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال: (﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير٤/١١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٥/١٦٥٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٤/١١.

(٤) معالم التنزيل ٧/١١٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٧/٩٤.

(٦) روح المعاني ٢٣/٢٥٩.

﴾{آل عمران:١٩٠}) ، ثم قام فتوضأ واستن فصلى إحدى عشرة ركعة ثم أذن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى الصبح (١)، وهذا الحديث يدل على فضل النبي ﷺ وأثر القرآن في نفسه، وإكثاره من عبادة ربه، كما كان حال الصحابة –رضي الله عنهم أجمعين– ، أكثر خشية وخوفاً عند تلاوتهم للقرآن، فعن نافع قال: كان عبد الله بن عمر إذا قرأ هذه الآية ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾{الحديد :١٦}،بكى حتى يغلبه البكاء "(٢).

وعن عروة بن الزبير قال: قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله ﷻ : تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم، قال: فقلتُ لها: إن ناساً اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خرَّ أحدُهم مغشياً عليه، فقالتْ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"(٣).

وقال عكرمة: سُئلتْ أسماءُ بنت أبي بكر: هل كان أحد من السَّلَف يُغشى عليه من الخوف؟، قالت: لا، ولكنهم كانوا يبكون"(٤).

وعن ابن عمر –رضي الله عنهما– أنه مرّ برجل من أهل العراق ساقطًا، فقال: " ما بال هذا؟ قالوا: إنه إذا قُرئ عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط ، قال ابن عمر: إنا لنخشى الله وما نسقط"(٥).

قال القرطبي (ت٦٧١هـ) :" الخوف إذا سكن القلب أوجب خشوعَ الظاهر، فلا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقاً متأدباً متذللاً، وقد كان السلف يجتهدون في ستر ما يظهر من ذلك، وأما المذموم فتكلفه والتباكي ومطأطأة الرأس كما يفعله الجهال ليُروا بعين البر والإجلال، وذلك خدع من الشيطان وتسويل من نفس الإنسان"(٦).

٤- شفاء لما في الصدور:

إذا تدبّر المؤمن القرآن زالت عنه الشبهات والشهوات التي ترد على الإنسان فتصرفه عن الطاعات، أو تهوي به في المعاصي والظلمات، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾{يونس: ٥٧}،قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ) : " أي: من الشُبَه والشكوك، وهو إزالة ما فيها من رجس ودَنَس، ﴿ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ ﴾ أي: محصلٌ لها الهداية والرحمة من الله تعالى، وإنما ذلك للمؤمنين به

---

(١) صحيح البخاري ١٦٦٥/٤ح(٤٢٩٣).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ١١٨ح (٣٤٦٤٧)، أخرجه من طريق عثمان بن واقد، عن نافع، وإسناده حسن ، فيه: عثمان ابن واقد، قال ابن حجر: صدوق، تقريب التهذيب ص(٣٨٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/١٥،

(٤) زاد المسير في علم التفسير ١٧٧/٧.

(٥) أورده ابن بطال في شرح صحيح البخاري٢٨٢/١٠.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٣٧٥/١.

والمصدقين الموقنين بما فيه"(١).

وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾{الإسراء: ٨٢}(٢)، قال الطبري (ت٣١٠هـ) : "يقول تعالى ذكره : وننزل عليك يا محمد من القرآن ما هو شفاء يُستشفى به من الجهل من الضلالة، ويُبصر به من العمى للمؤمنين ورحمة لهم دون الكافرين به ؛ لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله، ويُحلون حلاله، ويحرّمون حرامه فيدخلهم بذلك الجنة، ويُنجيهم من عذابه، فهو لهم رحمة ونعمة من الله، أنعم بها عليهم"(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾{فصلت :٤٤}، فالقرآن يهدي المؤمنين إلى العلم الصحيح، الذي يثمر لهم العلم النافع، ويدفع عنهم أمراض القلوب والأبدان، فلا يكون في قلوبهم شك ولا ريب ؛ لأنهم فهموا مراد الله، وعرفوا مقصوده ، فاندفعت عنهم الأخلاق السيئة، والأعمال القبيحة.

٥- الامتثال لما في القرآن والعمل به :

فالمؤمن لا يقفُ عند مجرد السماع والتأثر ، بل يتعدى ذلك إلى العمل والاستجابة لله ورسوله ﷺ، وهذا أصلٌ عظيم من أصول التدبر، وإلا فقد ذمَّ الله اليهود الذين يزعمون أنهم آمنوا بالكتاب، والحال أنهم لايعملون به، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾{البقرة:٩١ }

قال السعدي (ت١٣٧٦هـ) : " وإذا أمر اليهود بالإيمان بما أنزل الله على رسوله، وهو القرآن استكبروا وعتوا، و﴿ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ أي: بما سواه من الكتب، مع أن الواجب أن يؤمن بما أنزل الله مطلقا، سواء أنزل عليهم، أو على غيرهم، وهذا هو الإيمان النافع، الإيمان بما أنزل الله على جميع رسل الله " (٤).

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾{البقرة: ١٠١}، أي لما جاءهم هذا الرسول

---

(١) المصدر السابق ٢٧٤/٤.

(٢) تعليم تدبر القرآن الكريم د. هاشم الأهدل ص (٢٣).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن ٥٣٨/١٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص(٥٩).

الكريم بالكتاب العظيم بالحق الموافق لما معهم، وكانوا يزعمون أنهم متمسكون بكتابهم، فلما كفروا بهذا الرسول وبما جاء به، ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ الذي أنزل إليهم أي: طرحوه رغبة عنه ﴿ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾، وهذا أبلغ في الإعراض كأنهم في فعلهم هذا من الجاهلين وهم يعلمون صدقه، وحقيّقة ما جاء به(١).

أما السلف الصالح فقد امتثلوا لأوامر القرآن واجتنبوا نواهيه، اقتداءً بالنبي ﷺ الذي تحلّى بأخلاق القرآن، فعن سعد بن هشام بن عامر قال : " سألت عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – فقلت : يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ قالت: ألست تقرأ القرآن ؟، قلت: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن، قال: فهممتُ أن أقوم ولا أسأل أحداً عن شيء حتى أموت، ثم بدا لي فقلت: أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ فقالت: ألست تقرأ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾{ المزمل: ١}؟، قلت: بلى، قالت: فإن الله ﷻ افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام نبي الله ﷺوأصحابه حولاً وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة..."(٢)، فهذا الحديث دليل على منهج النبي ﷺ في التعامل مع القرآن ، وهو التخلق بأخلاقه ، والعمل بأوامره

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال:" كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن"(٣).

وعن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال:" كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها، ورُزقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يقرؤون القرآن، منهم الصبي والأعمى ولا يرزقون العمل به"(٤).

وفي هذا المعنى قال ابن مسعود رضي الله عنه:" إنا صعُب علينا حفظ ألفاظ القرآن، وسهل علينا العمل به، وإن مَنْ بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به"(٥).

فهكذا كان منهج النبي ﷺ في تعليم الصحابة القرآن: تلازم العلم والمعنى والعمل، فلا علم جديد إلا بعد

---

(١) المصدر السابق ص(٦٠).

(٢) صحيح مسلم ٥١٢/١ح (٧٤٦).

(٣) جامع البيان، للطبري ١٢٢/٢،أخرجه من طريق الحسين بن واقد، عن الأعمش، عن أبي وائل، وإسناده صحيح، وأخرجه الحاكم في مستدركه ٧٤٣/١ح(٢٠٤٧) ، والبيهقي في السنن الكبرى ١١٩/٣ح(٥٠٧٢) من طريق شريك، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ :" كنا إذا تعلمنا من النبي ﷺ عشر آيات من القرآن لم نتعلم من العشر الذي نزلت بعدها حتى نعلم ما فيه، قيل لشريك من العمل ؟ قال : نعم " وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

(٤) الجامع لأحكام القرآن٤٠/١.

(٥) المصدر السابق ٤٠/١.

فهم السابق والعمل به.

٦- يحقق اليقين التام للنفس:

لأن القرآن كالماء العذب، والقلبُ كالشّجرة التي لا تستطيع أن تعيش وتنمو إلا بهذا الماء، فالقلب كلما تفكّر في معاني كلام الله حصل له الريّ والشّبَع والنمو والاستقرار والثبات والعلو، ولَمَّا علم الله حاجة القلب إلى مثل ذلك كرّر هذه المعاني الشريفة في كتابه، ونوع في بيانها، وضرب لها الأمثال، وصرف فيها من أنواع القول ما يحصل به للقلوب المتدبرة حياة لا تموت معه أبدًا.

قال الشيخ السعدي (ت١٣٧٦هـ):" ومن فوائد التدبر لكتاب الله: وصول المتدبر إلى درجة اليقين، والعلم بأن القرآن كلام الله ؛ لأنه يراه يصدّق بعضه بعضاً، ويوافق بعضه بعضاً، فترى الحكم والقصة والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضاً، فبذلك يعلم كمال القرآن وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور، فلذلك قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾{النساء:٨٢ }، أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلاً"(١).

٧- يحقق إنابة النفس لربها وتوبتها من معاصيها :

إن التدبر لآيات القرآن يفيد في إيقاظ الغافلين واللاهين عن الطريق السوي، ويردّهم إلى جادة الصواب، واتباع منهج الحق ، ومن ذلك ما رُوي من توبة الفضيل بن عياض ، قال ابن قدامة المقدسي (ت٧٤٢هـ): "كان الفضيل يقطع الطريق وحده، فخرج ذات ليلة ليقطع الطريق، فإذا هو بقافلة قد انتهت إليه ليلاً، فقال بعضهم لبعض: اعدلوا بنا إلى هذه القرية فإن أمامنا رجلاً يقطع الطريق يقال له: الفضيل، قال: فسمع الفضيل، فأرعد ، فقال: يا قوم أنا الفضيل جوزوا(٢)، والله لأجتهدن أن لا أعصي الله أبداً، فرجع عما كان عليه، وروي من طريق أخرى أنه أضافهم تلك الليلة وقال: أنتم آمنون من الفضيل، وخرج يرتاد لهم علفاً، ثم رجع فسمع قارئاً يقرأ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾{الحديد:١٦}، قال: بلى والله قد آن، فكان هذا مبتدأ توبته "(٣).

٨- الفوز بالخير الكثير :

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص (١٨٩).

(٢) جوزوا : جُزْتُ الطريقَ وجازَ الموضعَ ، سار فيه وسلكه، وأَجازَه خَلَّفه وقطعه، لسان العرب ٣٢٦/٥.

(٣) التوابين، لابن قدامة المقدسي ص(٢٠٧-٢٠٨).

وهذا الخير يأتي بتدبر القرآن، قال ابن القيم :" فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته: من تدبر القرآن، وإطالة التأمل، وجمْع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما، ومآل أهلهما، وتَتُلُّ في يده-توضع في يده- مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة ، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه، وتوطِّد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتُحضره بين الأمم ، وتريه أيام الله فيهم وتبصره مواقع العبر، وتُشهده عدل الله وفضله، وتُعرِّفه ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله وما يحبه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتها، وتعرّفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم وأحوالهم وسيماهم، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه وافتراقهم فيما يفترقون فيه "(١).

ثانياً: ثمار غير مباشرة، ومنها:

١-الحثّ على العلم والمعرفة التي تقود الإنسان في حياته العملية إلى الإبداع والكشف عن سنن وقوانين الكون، وتسخيرها لتنمية الحياة وإعمار الأرض ؛ إذ أثنى الله على العلماء ورفع مقامهم، فقرنهم سبحانه وتعالى بذكره حينما قال:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾{آل عمران: ١٨}، وقال سبحانه:﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾{المجادلة: ١١}.

٢- ظهور مجتهدين في مختلف العلوم الشرعية المختلفة، ودليل ذلك ما أنتجوه من مؤلفات وموسوعات علمية هائلة قدّموها للأمة، ينمّ عن تفاعل إيجابي بين فهمهم لكتاب الله وإدراكهم لطبيعة الواقع الذي يعيشون فيه، مما جعل العالم الإسلامي آنذاك مصدراً لمختلف القيم الحضارية، كما ظهر علماء مسلمون في مختلف العلوم والفنون، كالكيمياء، والرياضيات، والطب، والفلك، والحساب، وغيرها من العلوم الكونية، والتي أسهمت إسهاماً فاعلاً في خدمة البشرية ورقيها، وكان المؤمن المتدبر لكتاب الله لهو أقدر على غيره من النظر العقلي في هذا الكون والتعرُّف على أسراره ، وتوظيف ذلك في خدمة الإنسانية جمعاء ، وتوفير سبل أفضل للحياة الهانئة الكريمة (٢).

٣-تحريك العقل واستثارة طاقاته في كل وقت، وتنمية مهارات البحث التجريبي، وتأسيس العقلية المسلمة التي ترى أن التفكر في الكون والأنفس فريضة وعبادة يتقرب بها إلى الله ﷻ ، فكثير من آيات القرآن دعت إلى النظر في حقيقة الوجود والكون، وآفاق النفس، قال تعالى:﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ ﴾ {

---

(١) مدارج السالكين٩/٣٦٣

(٢) تدبر القرآن بين النظرية والتطبيق ، د . رقية العلواني ص(١٩-٢٤) نقل بتصرف.

يونس: ١٠١}، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ ﴾{الروم: ٨}، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾{الأعراف: ١٨٥}(١).

٤- إيقاظ النفوس على ضرورة الخروج من فكر التبريرات وإلقاء اللوم على الآخرين إلى فكر النقد الذاتي الذي يجول في أرجاء النفس باحثاً عن أسباب التأخر محاولاً الخروج منها وعلاجها عوضاً عن غض الطرف عنها، قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾{الروم: ٤١}.

المبحث الخامس: واقعنا المعاصر وتدبر القرآن الكريم:

شهد واقعنا المعاصر ثورة علمية هائلة في مجال الدراسات القرآنية، وعلومها، وانتشرت "مدارس تحفيظ القرآن الكريم" في عموم البلاد الإسلامية، وتخرّج في هذه المدارس سنوياً آلاف الحفاظ للقرآن كلياً أو جزئياً، غير أن كثيراً من هؤلاء لا يكادون يختلفون عن غيرهم من المسلمين، فلم يتميزوا بالفكر والتأمل والتدبر للقرآن ، ولم يثقلوا ميزان الأمة الحضاري بالصورة المتوقعة والمطلوبة، الذي كان عليه سلفنا الصالح من تعاملهم مع القرآن ؛ إذ عرفوا مكانته، فقرؤه ورتّلوه وتدبّروه حق تدبره، كما وصفهم الله –تعالى-: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾{الأنفال :٢}.

فالتدبر في آيات القرآن يعالج الجفاف الروحي لقارئ القرآن، هذا الداء الذي قد يعاني منه بعض حفّاظ القرآن الكريم اليوم، فضلاً عن بقية المسلمين وعوام الناس الذين لا يحفظونه، وبعض الناس يقرؤونه لكنهم يشعرون بأنَّه لا يروي ظمأهم ، فيتعاملوا معه كوظيفة يومية، أو روتين دائم، فيقرؤونه وعيونهم على آخر الصفحة أو الجزء لينهوه، فإذا انتهى منه فرحوا لأنَّهم أدوا الواجب، دون أدنى فهم أو اعتبار لما حوته هذه الآيات من معانٍ وأحكام.

وهذه الأسباب تعود إلى الآتي:

١- عدم فهم حقيقة القرآن الكريم، فالبعض يظن أنَّ القرآن الكريم كتاب أُنزل للقراءة فقط، ولهذا نجد البعض يتسابقون في قراءة الأجزاء والصفحات ، فيختم أحدهم المصحف مرَّات ومرَّات في الشهر – خصوصاً في رمضان- دون أن يتدبر بآية واحدة، أو يعرف معنىً من معانيه، أو يتمثّل بسلوك من السلوكيات التي يدعو إليها

---

(١) تدبر القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، د رقية العلواني ص(١٨).

القرآن، ولهذا فَهِمَ سلفنا الصالح حقيقة القرآن، فكانوا خير القدوة لنا، قال أبو عبد الرحمن السلمي: "حدّثنا الذين كانوا يُقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا"(١).

بل إنَّ السلف من الصَّحابة قد حذّروا من سوء فهم حقيقة القرآن ومكانته، فهذا ابن عمر – رضي الله عنهما يقول – :"لقد عشنا بُرهة من دهرنا وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلّم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده، كما تُعلّمون أنتم القرآن، ثم قال: لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه، ينثره نثْر الدقل "(٢).

وقال الحسن البصري (ت١١٠هـ) :" قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، حفظوا حروفه وضيّعوا حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: والله لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفاً، وقد والله أسقطه كله، ما يُرى للقرآن عليه أثر في خُلق ولا عمل، والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، والله ما هؤلاء بالحكماء، ولا الوزعة(٣)، لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء"(٤)، وقال أيضاً: "نزل القرآن ليُتدبّر ويُعمل به فاتخذوا تلاوته عملاً"(٥).

٢- الخطأ في فهم مصطلح أهل القرآن، والتركيز على الأجر دون النظر لما جلبته القراءة من أثر وفائدة، فالبعض يرى أنَّ الهدف هو القراءة ؛ لأنَّ كثرة القراءة تجلب الحسنات بشكل أكبر ؛ ولهذا يقوم البعض بقراءة القرآن بشكل سريع دون نظر لمعنى أو مضمون ، أو لما يتضمنه من أحكام وفوائد، ويقوم الآخرون بالتركيز على الحفظ، وكأنهم يحفظون نصوصاً جامدة دون فهم ووعي، بل ويتفاخر البعض بحفظ القرآن كآيات يرددونها ويعيدونها، أو قد تصل بالبعض إلى أن يحفظوا القرآن بشكل عكسي، ناهيك عن إقامة المسابقات لحفظه وترتيله، لكن دون تركيز على ما استقر في الفرد من معانٍ وسلوك، وقيم وأخلاق.

ولا يُفهم من الكلام أننا ضد الحفظ، وإقامة المسابقات على حفظه، وتكريم الحفاظ، بل هو أمر محمود،

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١/ ٨٠ ، أخرجه من طريق جرير، عن عطاء ، وهذا إسناد صحيح متصل، أبو عبد الرحمن السلمي، اسمه عبد الله بن حبيب، وهو ثقة ثبت، وقد صرح بأنه حدثه الذين كانوا يقرئونه، وأنهم "كانوا يستقرئون من النبي ﷺ ، وإبهام الصحابي لا يضر، بل يكون حديثه مسندًا متصلاً.

(٢) المستدرك على الصحيحين١/٩١ح(١٠١) ،السنن الكبرى للبيهقي ٣/ ١٢٠ح(٥٠٧٣) أخرجاه من طرق عن عبيدالله بن عمرو، عن زيد بن أبي أنيسة، عن القاسم بن عوف الشيباني ،وإسناده حسن، فيه القاسم بن عوف.

قال ابن حجر: صدوق، تقريب التهذيب ص(٤٥١)، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ولم يخرجاه. المستدرك١/٩١.

(٣) وزعة: الوَزْعُ كَفُّ النفْسِ عن هَواها، والمراد : أَي أَعْوانٍ يَكُفُّونهم عن التعدي والشرِّ والفَسادِ، لسان العرب، ٨/٣٩٠.

(٤) الكشاف ٤/٩٢.

(٥) مدارج السالكين ١/٤٨٥.

لكنَّ الخطأ أن نركِّز على هذه المعاني دون أن ننزل القرآن المكانة التي أنزل لأجلها، وهو كونه كتاب هدى ونور، وتوجيه وتشريع، وتربية وتغيير للنفوس.

إنَّ الأمة لا تحتاج إلى نُسخ جديدة من القرآن المقروء، بل تحتاج إلى نُسخ حية من القرآن العملي التطبيقي، فهي تحتاج لأولئك الذين يتمثّلون بأخلاق القرآن، وينفِّذون أوامره، ويتجنّبون نواهيه، وتظهر فيهم معالم الشخصية التي رسمها القرآن ؛ لأنَّهم سيكونون قادتها، وحاملين رايتها الحقيقية، التي تنهض بها.

٣- الاشتغال بفروع العلم الشرعي المختلفة، ونسيان العودة للمنبع الأصلي لها، وعندها يخوض البعض بالخلافات، وفرّقوا الأمة في جزئيات فقهيه وعبارات مجتزأة ، دون فهم للأصول ، ومراعاة لمقاصد القرآن، فيصبح البعض يحفظ متوناً جامدة، دون تأثير أو تطبيق ؛ ولهذا قد نجد عند البعض ، كمّاً هائلاً من المعلومات الشرعية، لكن دون تطبيق ودون أن يتأثر بما يحوي أصل هذه المعلومات، حتى إذا قرأ القرآن، فإنه يفسّر آياته لما فيه خدمة لهواه ورأيه وحزبه، وهو ما يعني انحراف عن المقصد الأساس للقرآن الكريم.

٤- التقليد الخاطئ، فالبعض اعتاد على أن يسمع القرآن فقط في مواسم العزاء، أو عند افتتاح الدروس والندوات والاحتفالات، ولهذا نظر إليه نظرة مادية، حتى إذا قرأه لم يفهمه ولم يتدبر ما يحويه ، بل والبعض يريد أن يقلّد القرّاء المشهورين، ومن رزقهم الله حُسن الصَّوت، فيطغى عامل جمالية القراءة، والتغني في ترتيله، على مضمونه، فيركّز على تحسين الصَّوت، دون أن ينظر إلى تهيئة القلب للتأثر به، أو النفس والعقل لفهم الأوامر والقيم التي ينادي بها.

وعلى الرغم من خطورة هذه الأسباب إلاَّ أنَّ هناك حلولاً تتمثل في الآتي:

١ - تصحيح منهج الخلل في تلقّي القرآن ، والتفاعل معه، إذ لو طُبّق المنهج النبوي لأحدثت هذه المدارس القرآنية ثورة تغييرية شاملة ونهضة حضارية كبرى ، ولأحسنت الاستفادة من معطيات العصر والعلم، مثل الإعجاز العلمي الذي يمكن أن يصبح باباً عريضاً لاجتذاب الداخلين إلى الإسلام، ووسيلة فعالة لتقوية إيمان عامة المسلمين بالقرآن ومساعدتهم على فهمه وتنزيله على وقائع العصر.

٢- فهم حقيقة القرآن الكريم ، فهو كتاب إيمان وتوجيه، وتربية وتشريع، وليس كتاب قراءة فقط، أو كتاباً يوضع على الرفوف لا يفتح إلا في رمضان، ولهذا لابد للمرء أن يُعوِّد نفسه على أن يقرأ القرآن ويتأثر به، فيتدبر آياته، ويستشعر معانيها، ويحاول أن يطبق كل خلق من الأخلاق، أو كل أمر من الأوامر الواردة فيه، ويتجنب كل أمر نهى عنه القرآن، وحذّر منه ؛ حتى يكون ربانياً حقاً.

٣- الإكثار من قراءة القرآن وإطالة المكث في قراءته ، فلا يأتي التدبر بقراءته مرة أسبوعياً مثلاً، بل لابد أن يكون هناك تواصل يومي مع القرآن، بحيث يزداد تعرض القلب والنفس لمعاني القرآن وأحكامه، فتصبح هذه الحالة مقاماً ثابتاً فيه، فيبقى التأثر تأثراً دائماً، مما يؤدي لثورة داخل النفس البشرية، وتغيير في سلوكها وحالها.

٤- تهيئة الجو المناسب لقراءة القرآن ، فلا يصح التأثر والتدبر مع وجود عوامل أخرى، كوجود التلفاز، أو الجلوس بجانب ما يشغل المرء ويلهيه عن التفكر والتدبر، بل لابد أن يكون هناك جو مناسب لإعمال العقل،

وتفعيل القلب ليتلقى الرسائل الإلهية بحيث تتفاعل نفسه معها، وفي نفس الوقت، لابد وأن يعوّد نفسه ألا ينظر إلى نهاية الجزء أو نهاية الصفحة لينهي قراءته، بل يستمر بالقراءة، بغضّ النظر مهما قرأ، ويعيد القراءة عند تأثره بآية من الآيات، فهنا يكون القلب قد وجد المفتاح الضائع، ومن هنا يكون منبع التأثير والتغيير(١).

خاتمة البحث:

نحمد الله على ما يسّر لي من تمام البحث الذي سألخص في خاتمته أبرز النقاط التي ناقشتها وذلك في الآتي:

١- إن مفهوم تدبر القرآن لا يقف عند مدلوله اللغوي وهو النظر فيما وراء الألفاظ من المعاني والدلالات، وإنما يشمل حضور القلب واستشعاره للآيات والتأمل فيها بقصد الانتفاع بها.

٢- إن أمر التدبر عام يشمل المنافقين والكفار، وعموم المسلمين الذين هم أهل الانتفاع فيكون واجباً في حقهم، كما صرحت الآية ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾{ص:٢٩}.

٣- إن الغاية والقصد من نزول القرآن هو التدبر فيه والتفكر في معانيه ؛إذ أنه مفتاح للعلوم والمعارف، وحث للنفس نحو الخير، ولقد ركّز سلفنا الصالح في تدبر القرآن على الجانب العملي، فعرفوا مقاصده ومراده واستنبطوا أحكامه، ووقفوا عند آياته، فحالهم كما قال ابن عمر -رضي الله عنهما- :"رُزقوا العمل بالقرآن"، وهذا ما تحتاج إلى تحقيقه الأمة اليوم ،كما قال في آخر كلامه:" وإن آخر هذه الأمة يرزقون القرآن منهم الصبي والأعمى، ولا يرزقون العمل به"(٢).

و مما ساعدهم على تدبّره وسائل عديدة منها:

١- الدعاء، وهو أهم مفاتيح تدبر القرآن ، فمهما بذل الإنسان من وسائل، فلن يظفر بمراده إذا لم يعنه مولاه —سبحانه- ، وكذلك الاستعاذة الحقيقية من الشيطان الذي يُلبس على القارئ قراءته ويخلط عليه، ويمنعه من التدبر والتفكر.

٢- إعمال وسائل الإدراك، ومنها :الاستماع للقرآن ؛ لما له من تأثير عظيم في نفس المستمع، إذ كان سبباً في إسلام كثير من الكفار ، بالإضافة إلى هداية الجن عند سماعهم له، وكذلك إعمال البصر بالنظر في آيات الله المشهودة وفي آياته المسطورة ، وحضور القلب عند تلاوته لأنه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف .

٣-التأني والتمهل في القراءة وتحسين الصوت ؛ لأنهما من أفضل الوسائل المعينة على التدبر والتأمل.

٤- ترديد الآيات المؤثرة في القلب حتى ينتفع بها، مع صرفه عن موانع التدبر كالذنوب، والمعاصي، والحسد والحقد، والرياء وحب الظهور، وسوء الظن، والكبر والعجب ، والتكبر عن قبول الحق، لما لها من أضرار تحيط به

---

(١) عدم تدبر القرآن موقع بصائر www.basaer-online.com‹ نقل بتصرف.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٠.

فيصبح كأن عليه أقفال.

٥- التواضع واللين والإقرار بالحق عند ظهوره من الأشياء المعينة على تدبر القرآن، ولذلك ينبغي للمؤمن أن يكون متواضعاً، يرجع إلى الحق إذا ظهر له، وإذا ذكر بالقرآن تذكر.

٦- الابتعاد عن مجالس اللغو ؛ إذ أنه أدعى لتدبر القرآن ح ولهذا لما أدرك المشركون خطورة القرآن، وأثره على الناس جحدوه وأنكروه وعادوه، وهذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار، ومن سلك مسلكهم.

٧-الاهتمام باللغة العربية ، من حيث التحدث بها، والرجوع إلى معاجمها لمعرفة معاني الكلمات المشكلة، إضافة إلى ضرورة الرجوع إلى كتب التفاسير المعتمدة لمعرفة المعنى الإجمالي للآيات، دون ضرورة الوقوف على التفاصيل والخوض في المطولات.

٨- ربط القرآن بالواقع المعاش ويكون بالتفاعل مع كل آية، واستشعار القارئ للقرآن أو المستمع له أنه المقصود بالخطاب.

وهذه الوسائل كان من ثمارها :

١- معرفة العبد لله وتعظيمه له؛ إذ أن مَنْ امتلأ قلبه معرفةً بالله، عَظَّمَ كلامه، وتمعَّنَ فيه، وأصغى إليه متأملاً متدبراً.

٢- تحقق طمأنينة القلب، فكلما اطمأن قلب المتدبر ازداد إيماناً بالله وخوفاً وخشية منه تمنعه من ارتكاب الحرام، فيمتثل لأوامره، ويجتنب نواهيه، فيصل بذلك كله إلى درجة اليقين والعلم بأن القرآن كلام الله؛ لأنه يراه يصدّق بعضه بعضا، ويوافق بعضه بعضاً.

٣- إن التدبر شفاء لما في الصدور: فإذا تدبر المؤمن القرآن زالت عنه الشبهات والشهوات التي ترد عليه فتصرفه عن الطاعات، أو تهوي به في بحر المعاصي والظلمات .

٤-إيقاظ الغافلين واللاهين عن الطريق السوي وردّهم إلى جادة الصواب واتباع منهج الحق.

٥-الكشف عن سنن الكون والحياة وتسخيرها في عمارة الأرض وتنمية الحياة، وتأسيس العقلية المسلمة التي ترى أن التفكر في الكون والأنفس فريضة وعبادة يتقرب بها إلى الله عزوجل، إذ أن كثيراً من آيات القرآن دعت إلى النظر في حقيقة الوجود والكون، وآفاق النفس.

التوصيات:

١- العودة بالأمة إلى منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وذلك بتوجيههم لتلقي القرآن بقصد الانتفاع والامتثال والعمل به مع قصد التلاوة والحفظ، إذ لو طُبّق هذا المنهج لأحدثت المدارس القرآنية ثورة تغييرية شاملة ونهضة حضارية كبرى ، ولأحسنت الاستفادة من معطيات العصر.

٢ - عقْد لقاءات وبرامج دورية تجمع أهل العلم والاختصاص بغرض دراسة الخطط والمناهج العملية التي تفيد في التدبر وسبل تفعيلها، ومن ثم نشرها بين المؤسسات والمدارس القرآنية، وتدريب كوادر مؤهلة لتنفيذ هذه البرامج

بآليات ووسائل متنوعة ومناسبة لكافة شرائح المجتمع ثم عرضها عبر وسائل الإعلام المختلفة.

٣- إقامة دورات تدريبية للعاملين في المدارس والحلقات والدور القرآنية على التدبر وطرقه ومناهجه ؛ ليتمكنوا من تفعيل طلاب التحفيظ وتربيتهم على ذلك.

فهرس المراجع

١- الإتقان في علوم القرآن، عبدالرحمن السيوطي ،مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة،ط٤، (١٣٩٨هـ).

٢- أحكام القرآن، أحمد بن علي الجصاص، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، (١٤٠٥هـ).

٣- أخلاق حملة القرآن، محمد بن الحسين بن عبدالله الآجري، تحقيق: أحمد شحاتة ، دار الصفاء والمروة بالإسكندرية ،ط١، (١٤٢٦ هـ –٢٠٠٥م).

٤- الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق :سمير جابر، دار الفكر –بيروت، ط٢.

٥- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان،ط٧، (١٤١٩هـ- ١٩٩٩م).

٦- البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض. دار الكتب العلمية – لبنان- بيروت ط١،(١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م).

٧- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية ، بدون سنة الطبع.

٨- التبيان في آداب حملة القرآن ، يحي بن شرف النووي ،تحقيق : محمد الحجار، دار ابن حزم ، بدون سنة الطبع.

٩- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م.

١٠- تدبر القرآن ، سلمان بن عمر السنيدي، مجلة البيان ط٢(١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

١١- تدبر القرآن بين النظرية والتطبيق، د. رقية طاهر جابر العلواني الموقعwww.drruqaia.com

١٢- تدبر القرآن الكريم ، د. فهد بن مبارك الوهبي ، مجلة الدراسات القرآنية العدد(٨) (١٤٣٢هـ).

١٣- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ،(١٤٠٥هـ).

١٤- تعليم تدبر القرآن الكريم ، أساليب عملية ومراحل منهجية، د .هاشم بن علي الأهدل، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي ، بدون سنة الطبع.

١٥- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر

والتوزيع،ط٢، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

١٦- تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الرياض، ط٣، (١٤١٩هـ).

١٧- تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد ، سوريا، - (١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م).

١٨- التوابين، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية - بيروت ، (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م).

١٩- تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة،ط١، (١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م).

٢٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن . ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢١- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق : هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣ م).

٢٢- حقائق التفسير ، محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي المتوفى، تحقيق سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط١،(١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).

٢٣- خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، للنووي، تحقيق :حسين إسماعيل الجمل ،مؤسسة الرسالة - بيروت،ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

٢٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، : محمود الألوسي، : دار إحياء التراث العربي — بيروت.

٢٥- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي — بيروت،ط٣، (١٤٠٤هـ).

٢٦- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر — بيروت.

٢٧- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، : دار الفكر ،بدون سنة الطبع.

٢٨- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، حقيق : محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، (١٤١٤هـ — ١٩٩٤م).

٢٩- سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، إحياء التراث العربي — بيروت، بدون سنة الطبع.

٣٠- سنن الدارمي عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي — بيروت،ط١، (١٤٠٧هـ).

٣١- سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١، (١٤١١هـ – ١٩٩١م).

٣٢- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٩(١٤١٣هـ-١٩٩٣م).

٣٣- شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن –الرياض (١٤٢٦هـ).

٣٤- شرح صحيح البخاري، علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - الرياض –ط٢(١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).

٣٥- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١، (١٤١٠هـ).

٣٦- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان البستي، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت،ط٢، (١٤١٤هـ – ١٩٩٣م).

٣٧- صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة، حقيق : د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت ، (١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م).

٣٨- صحيح البخاري محمد بن إسماعيل، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت،ط٢، (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م).

٣٩- صحيح الجامع الصغير وزيادته ، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بدون سنة الطبع.

٤٠- صحيح سنن أبي داود، : محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع ، الكويت،ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٤١- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، : دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٢- عدم تدبر القرآن د. ناصر العمر موقع بصائر على الانترنتwww.basaer-online.com

٤٣- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية – بيروت،ط٢، (١٤١٥هـ).

٤٤- غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ،تحقيق : د. محمد عبد المعيد خان ،دار الكتاب العربي – بيروت، ط١(١٣٩٦هـ).

٤٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، : دار المعرفة - بيروت، (١٣٧٩هـ).

٤٦- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر – بيروت،(١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

٤٧- فهم القرآن ومعانيه، الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي، تحقيق: حسين القوتلي، ، دار الفكر –

بيروت،ط٢، (١٣٩٨هـ).

٤٨- الفوائد، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية – بيروت،ط٢،(١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م).

٤٩- قواعد وضوابط التدبر د. عمر المقبل، موقع المسلم.www.almoslim.net/node/139579

٥٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون سنة الطبع.

٥١- كشف المشكل من حديث الصحيحين، عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق : علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

٥٢- لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر - بيروت ، ١٣٩٩ هـ -١٩٧٩م.

٥٣- لسان العرب، : محمد بن مكرم بن منظور، ط١، دار صادر – بيروت، بدون سنة الطبع.

٥٤- المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مهران، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، دار القبلة ، ودار علوم القرآن ط٢(١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

٥٥- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق : أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م).

٥٦- المحرر الوجيز، محمد عبدالحق بن غالب بن عطية ،تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – لبنان،ط١(١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).

٥٧- مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، تحقيق سعد العارف ، دار إحياء العلوم(١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

٥٨- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق : رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – القاهرة ،ط(١٤٢١هـ-٢٠٠١م).

٥٩- المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١، (١٤١١هـ -١٩٩٠م).

٦٠- مسند أحمد، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، : مؤسسة قرطبة – القاهرة، بدون سنة الطبع.

٦١- المصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت،ط٢، (١٤٠٣هـ).

٦٢- المصنف في الأحاديث والآثار، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق : كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض،ط١،(١٤٠٩هـ).

٦٣- معالم التنزيل، محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع،ط٤، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م).

٦٤- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم – الموصل،ط٢، (١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م).

٦٥- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، تحقيق : مجمع اللغة العربية، دار الدعوة ، بدون سنة الطبع.

٦٦- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

٦٧- مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية - بيروت (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

٦٨- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر أيوب بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون سنة الطبع.

٦٩- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني ،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،ط٣.

٧٠- النشر في القراءات العشر ، لأبي الخير محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، مكتبة الباز –مكة (١٤٢٣هـ).

٧١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية . بيروت،ط٢، (١٤٢٤ هـ-٢٠٠٢م).

٧٢- النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت ، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).